الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

ثنائية الغربة والاغتراب في رواية كريسماس في مكة لـ "أحمد خيري العمري"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

من إعداد الطالبتين:

- بختة العيفاوي

- ريم منصوري

إشراف الأستاذة:

مليكة عزيزي

لجنة المناقشة:

1- الأستاذ(ة):أ/ مصطفى ولد يوسف .....رئيسًا

2- الأستاذ(ة):أ/مليكة عزيزي.....مشرفًا ومقررا

3- الأستاذ(ة):أ/ قادة يعقوب..... مناقشا

السنة الجامعية :2021/2020

كلمة الشكر

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي بجلال وجهك وعظيم سلطانك ولك الحمد على نعمتك وفضلك يامن هديتنا وأنرت لنا دروبنا ويسرت لنا من فضلك حتى تمكنا من أن ننهي هذا العمل بإذنك فالحمد جزيل الحمد لعظيم مقامك سبحانك أنت ولي التوفيق.

كما نتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى من كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى إلى الأستاذة الفاضلة عزيزي مليكة والذي كان لنا الشرف أن نتعامل مع شخصكم الموقر وان ننهل من علمك الغزير فقد كان لك الفضل وكل الفضل في إرشادنا وتسديدنا خطانا وتوجيه أفكارنا.

الشكر موصول أيضا إلى الأساتذة و عمال المكتبة و إلى الذين مدوا لنا السبل ومهدوا لنا الطريق لكي نظفر بالنجاح.

إهداء

يسعدني إن أتقدم بنتاج هذا البحث الذي دام مدة من الزمن إلى أعظم سيدة في الكون إلى من أحبتني وغمرتني بلطفها وحنانها إلى من كانت رفيقتي في العسر واليسر دون أن تنتظر معروفا

إلى من لا تكل ولا تمل لتصنع منا رجالا ونساء إلى حبيبتي وقرة عيني أمي الحبيبة

إلى خيرة الرجال إلى من لا تكفيني ورقة ولا مقال لتعداد فضله عليا إلى من يشقى دون تذمر إلى

من كان دعمي في جميع الأحوال إلى أبي الغالي

كما اهدي هذا العمل إلى صديقتي ورفيقة دربي التي كانت معي في هذا العمل خطوة بخطوة والتي

اعتبرها أختا فصداقتنا لم تكن في حدود الدراسة بل تمتد إلى ابعد من ذلك بكثير

أتقدم بالإهداء إلى إخوتي وأخواتي توأم روحي فاروق إلى كريم إلى دعاء إلى المدللة ملك.

بختة

إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية

إلى من كانت لي السند والصدر الحنون إلى الشمعة التي أنارت لي دربي إلى من لم تدخر نفسا

في تربيتي إلى قرة عيني أمي الغالية.

إلى من كان دعما لي سواء ماديا أومعنويا إلى من لا يتوانا في رعايتي وتربيتي إلى أبي العزيز

اهدي لك أنت صديقتي الغالية هذا العمل الذي كان بذرة جهودنا وسهرنا وتعبنا وبالتوفيق من الله

عز وجل استطعنا أن نتم هذا العمل المتواضع وفقنا الله لما فيه خير للبلاد والعباد وسدد الله

خطانا.

ريـــــم

الفهرس

كلمة شكر:.....

إهداء:.....

الفهرس.....

مقدّمة:.....**ص5**

الفصل الأول: مفهوم الغربة و الاغتراب

مفهوم الغربة.....**ص10**

-عند انثروبولوجيين.....ص10

-عند الأدباء.....ص10

تعريف الاغتراب.....ص10

-عند كارل ماكس.....ص12

-عند سيغموند فرويد.....ص15

-عند هيجل.....ص18

-عند فروباخ.....ص21

عندإريك فروم.....ص22

أنواع الغربة والاغتراب

أنواع الغربة.....ص23

غربة المجتمع ص23

غربة المكان.....ص25

غربة الاسر.....ص26

الغربة الاجتماعية.....ص27

الغربة النفسية.....ص28

غربة المثقف.....ص30

أنواع الاغتراب.....ص32

الاغتراب النفسي ص32

الاغتراب الاجتماعي.....ص34

الاغتراب الاقتصادي.....ص35

الاغتراب الثقافي.....ص36

أسباب الغربة ص39

أبعاد الاغتراب.....ص40

المفارقة المفاهيمية بين الغربة والاغتراب.....ص47

الفصل الثاني:التكنولوجيا وعلاقتها بالاغتراب النفسي .

العولمة.....ص51

هيمنة وسائل الاعلام و التكنولوجيا الحديثة على الفرد.....ص53

اثر الهيمنة التكنولوجية الحديثة على الفرد ص55

علاقة العزلة بالاغتراب النفسي.....ص58

الفصل الثالث :تجليات الغربة و الاغتراب في رواية كريسماس في مكة

تجليات الغربة في الرواية.....ص61

تجليات الاغتراب في الرواية.....ص67

دراسة عنوان الرواية.....ص77

الشخصيات في الرواية.....ص79

الشخصيات الرئيسية.....ص80

الشخصيات الثانوية.....ص81

الشخصيات الهامشية.....ص82

الرؤية السردية في الرواية.....ص83

خاتمة.....ص89

الملاحق:.....ص92

قائمة المصادر والمراجع:.....ص96

مقدّمة

مقدّمة:

إن الرواية فن من الفنون الأدبية والسردية الجميلة التي يستطيع الكاتب والأديب من خلالها أن يمرر رسالته وكلماته ومشاعره وأحاسيسه في موضوعات بأسلوب فكري وجمالي باعتبارها الإبداع الأدبي الذي يمكن الإنسان من التعبير بحرية وطلاقة،وقد اختلفت المواضيع التي تناولتها الرواية خصوصا في القرن الحالي مع تطور التكنولوجيا وانتشار الحداثة ،ومن هذه المواضيع ظاهرة الغربة والاغتراب فالغربة بعد إنسان عن موطنه وأهله ،وبعد عودنه إلى وطنه يجد الوطن لم يعد نفس الوطن الذي تركه خلفه ،أما الاغتراب جانب آخر في حياة الإنسان يشعر به الإنسان ويكون سببه العزلة والوحدة والاكتئاب،فالاغتراب قلق وجودي ينتاب الإنسان ومنه يُصعب على المرء التعرف على هويته ومكانه، وأسباب الغربة والاغتراب تختلف من مجتمع إلى مجتمع،فالإنسان المغترب يبحث دائما عن وطن بديل أويهرب إلى عالم يرسمه يلائم حالته النفسية الغير المستقرة ،وحين تختلط الغربة مع الاغتراب في نفسية الإنسان الواحد تتقلص قدرة وجدانه على استحضار ملامح الوطن القديم وجمالياته ،ويعد احمد خيري العمري الكاتب العراقي الحديث الذي سرعان ما اثبت اسمه في ميدان كتابة الرواية وقد أكد من خلال روايته كريسماس في مكة ،إن جنس الرواية من أهم الأجناس الأدبية إدراكا لواقع الإنسان ونفسيته وقد جسد فكرة الغربة والاغتراب في الرواية جمعت بين أشخاص فرقت بينهم المذاهب والحروب واختلاف الثقافات وكيف لهم أن التقوا في آخر المطاف واتفقوا بعد فراق طويل وغربة سوداء واغتراب عميق في نفوسهم وهذا ما جعلنا نلتفت إلى هذه الرواية وندرسها من جانب ثنائية الغربة والاغتراب وفي هذا تطرقنا إلى طرح **الإشكالية الآتية :كيف تجلت الغربة والاغتراب في رواية كريسماس في مكة؟**

إن موضوع الغربة والاغتراب تجسد في رواية كريسماس في مكة بشكل واضح وذلك من خلال لغة الكاتب وايضا استخدامه للاوضاع التي كانت تعيشها الشخصيات، منها الاوضاع

السياسية والاجتماعية، فالاغتراب نتج عن تدهور هذه الاوضاع بالاضافة الى الاوضاع الاقتصادية التي عان منها الفرد خلال فترة معينة وهذا ما حدث مع ابطال قصتنا.

وقد ركز السارد في سرده للاحداث على كيفية اغتراب الشخصيات وايضا كيف تجلت الغربة داخل نفسيتهم.

وهذا ما حاولنا الإجابة عنه من خلال دراستنا هذه ،وقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي فكانت بداية الدراسة عبارة عن مقدمة، وثلاثة فصول.

ففي الفصل الأول تطرقنا إلى المفاهيم كلا من الغربة عن الأدباء والانثروبولوجيين والاغتراب عند هيغلوفرويد وكارل ماكس وعند فروباخ وقمنا بإعطاء أنواع الغربة والاغتراب وأبعاده وختمنا نهاية الفصل الأول بمفارقة المفاهيمية بين الغربة والاغتراب.

أما الفصل الثاني فقد تحدثنا فيه عن الاغتراب النفسي وعلاقته بالعولمة والتكنولوجية،وكيف لوسائل الإعلام والتكنولوجيا أن تؤثر في الفرد (العزلة).

أما الفصل الأخير فكان تطبيقيا ،بحيث أننا استخرجنا تجليات الغربة والاغتراب،داخل الرواية كريسماس في مكة مع ذكر شخصيات الرواية ودرسنا في هذا الفصل عنوان الرواية وعلاقته بموضوعها،وتطرقنا إلى دراسة الشخصيات في الرواية والرؤية السردية،ثم ركزنا على أهم مواقف وأحاسيس وسلوكات الشخصيات المهمة الموحية على الغربة والاغتراب وفي آخر هذه دراسة خاتمة تحتوي على أهم الاستنتاجات التي حصلنا عليها ،وكان سبب اختيارنا لهذه المدونة إننا من معجبين احمد خيري العمري ولان ظاهرة الغربة ظاهرة قديمة ولاحظنا أن الرواية تلائم موضوع دراستنا ، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة مصادر ومراجع وبينها:

الحنين والغربة في الشعر العربي لـ(يحي الجبوري)[1]:،ورأس المال لـ(كارل ماكس)،وقلق الحضارة لـ (سيغموند فرويد)،ودراسات في سيكولوجية الاغتراب لـ (عبد اللطيف محمد خليفة)،والحنين إلى الأوطان لـ (عمرو بن بحر الجاحظ) .

وقد تقاسمت وتقاطعت بعض هذه المراجع مع دراستنا فمثلا:

الحنين إلى الأوطان لـ (عمروبن بحر الجاحظ) [2]: يتحدث هذا الكتاب عن الغربة المكانية التي عانى منها الشعراء والأدباء، وقد طرحنا عنصر الغربة المكانية في دراستنا كنوع من أنواع الغربة.

قلق الحضارة لـ (سيغموند فرويد) [3]: يتحدث سيغموند فرويد في كتابه عن الجانب النفسي للإنسان وكيف له آن يؤثر ويتأثر بالأسباب التي تجعل منه يشعر بالعزلة ويدخل في مرحلة الاغتراب النفسي.

دراسات في سيكولوجية الاغتراب لـ (عبد اللطيف محمد خليفة):هذه دراسة مطابقة جدا لدراستنا فهي تتحدث عن الحداثة والعزلة وتأثيرها في الحالة سيكولوجية للمرء.

ولا ننسى الرواية فلقد كانت ملائمة جدا لموضوع بحثنا،خصوصا في العنوان "**كريسماس في مكة**" فالعنوان يدل على هجرة الوطن والبعد عنه لأسباب محتمة ومؤلمة ويدل على حالة غير مستقرة التي كانت تشعر بها الشخصيات، وفي آخر الرواية ما نلاحظه بعد لم الشمل بين العائلتين عادت الطمأنينة تسكن ذات كل شخصية من الشخصيات.

[1]- يحي الجبوري، الحنين الى الغربة في الشعر العربي، الحنين الى الأوطان، دار مجد لاوي، للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2008م، ط1 .
[2]- عمرو ابن بحر الجاحظ، الحنين الى الاوطان، دار الرائد العربي للنشر، العراق، 1982م، ط2.
[3]- سغموند فرويد، الانا والهو، تر: عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، 1402 ه-1982م، ط4.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة قلة المراجع والمصادر وخصوصا من ناحية ضيق الوقت، وبفضل الله تعالى وأستاذتنا المشرفة التي لم تبخل علينا بالنصائح والاقتراحات القيمة، فلها كل الشكر والمحبة والتقدير والعرفان، والشكر الموصول للجنة المناقشة للعمل.

الفصل الا ول:

مفهوم الغربة والاغتراب

مفهوم الغربة:

يعد موضوع الغربة موضوعا مشوقا للدراسة وقد شغلت الحيز الأكبر من اهتمامات الأدباء والفلاسفة في دراساتهم الأدبية والأنثروبولوجية ومشاكله الحياتية من حروب وأزمات اجتماعية وتأزمات النفسية وقد أصبحت الغربة في عصرنا الحالي ظاهرة مثيرة للجدل والنقاش اللغوي فقد تعددت تعاريفها بظهور أسباب مستحدثة ومشاكل مأساوية من حروب عالمية وإقليمية وبهذا تنوعت تعريفات الغربة بمرور الزمن وما يصاحبه من ويلات الدهر ومشاكله من الفشل والإدمان والمخدرات والاغتصاب وغيره حيث أن مفهوم الغربة من أكثر المفاهيم التصاقا بالجانب الإنساني وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز وتحديد مفاهيم الغربة :

1-عند العلماء الأنثروبولوجيين:

وفي هذا صدد يعرفها أبوزيد أحمد شيخ الأنثروبولوجيين: "الغربة ظاهرة قديمة لم ترتبط بوقت محدد، أوحقبة زمنية معينة، إلا أنها تزداد في فترات يكثر فيها الاضطراب والقلق، وعدم الاستقرار في أوضاع المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لقد استطاعت هذه الظاهرة أن تفرض نفسها موضوع أساسي على كثير من الكتابات الأدبية والأعمال الفنية، والبحوث الاجتماعية والدراسات الفلسفية ".[1]

ومن هذا المفهوم نفهم أن الإنسان يتغرب من أجل الدراسة أوكسب العيش أوالربح المادي الأفضل أو أسباب سياسية مثل: انعدام الاستقرار الأمني وفي هذه الحالات هنا الغربة تفرض نفسها، وبهذا تكون الغربة ظاهرة يهتم بها الأدباء والمفكرين وجعلوا منها قضية إنسانية مهمة للتحليل والمناقشة.

[1]- أبوزيد أحمد، اغتراب، مجلة فكر – مجلة عالم الفكر ،كوردستان، 1979،ج 1،ص 131.

2-عند الأدباء:

"تعني النزوح عن الوطن، أوالبعد والنوى، أوالانفصال عن الآخرين، وهذا المعنى يرتبط ارتباطا قويا بالمعنى الاجتماعي الذي يوضح من خلاله أن هذا الانفصال لا يمكن أن يتم دون مشاعر نفسية، كالخوف أوالقلق والحنين تسببه أوتصاحبهاوتنتج عنه ".[1]

الغربة هنا مرتبطة بالبعد عن المحيط المعيشي سواء كان اجتماعي أوسياسيا وثقافي ولا يحدث هذا إلا من خلال شعور الإنسان بالانعزال داخل نفسيته وخروجه من ذاته كأنه إنسان مختلف.

I. تعريف الاغتراب:

إن ظاهرة الاغتراب ظاهرة نفسية اجتماعية عامة باتت تهدد الإنسان في مختلف مجالات الحياة، ما ينجم عنه من إحساس بالوحدة والعزلة وهومصطلح قديم وواسع ومتشعب، اختلاف النقاد والباحثون في إيجاد مفهوم عام وشامل لهذا المصطلح لتنوعه واختلاف أبعاده وتوسع زواياه فنجده قد ظهر كموضوع أساسي في كثير من الأعمال وفي أغلب الثقافات التي بناها الإنسان، فحسب مفهومي الشخصي وقبل أن نتطرق إلى المفاهيم التي اعتمد عليها النقاد والباحثون أمثال "كارل ماركس" و"فرويد وهيجل"، أن الاغتراب هوالشعور بالعزلة عن كل ما هوحضاري، وهوالوحدة أو وحدة الفرد والابتعاد عن العالم الخارجي.

والمفكرين الذين سلف ذكرهم كل في مجاله "كارل ماركس" (الاغتراب الاقتصادي) "فرويد" (الاغتراب النفسي) ،وهيجل (الاغتراب الاجتماعي)، فهناك من ذكر هذا المصطلح بطريقة مباشرة وهنالك من لمح للاغتراب بطريقة غير مباشرة ولكن الأهم من ذلك هوفي نهاية المطاف وفي خاتمة هذا البحث تستطيع أن تصل إلى مفهوم للاغتراب.

[1]- رجب محمود، اغتراب، منشأة المعارف المصرية، الاسكندرية، 1978،ط1، ص43.

1-كارل ماركس والاغتراب الاقتصادي:

« إذن لم تكن ثمة تربة حيوية للاقتصاد والسياسي وكان هذا الأخير يستورد من إنجلترا وفرنسا على شكل بضاعة جاهزة، وبقي أساتذة الاقتصاد السياسي الألمان تلامذة، وتحول على أيديهم التعبير النظري عن واقع غريب إلى مجموعة من العقائد الجامدة التي أولوها بروح العالم البرجوازي الصغير المحيط بهم أي بصورة خاطئة ».[1]

نلاحظ من خلال هذا القول "لكارل ماركس" حول الاغتراب الاقتصادي أنه لم تكن هناك تربة خصبة وحيوية للاقتصاد حيث كانوا يستوردون هذا الأخير من انجلترا وفرنسا على شكل بضاعة جاهزة من لباس وأكل ومشرب وغيرها وبقي الألمان غرباء في هذا المجال وبقي أساتذة الاقتصاد الألمان مجرد تلامذة.

« ولكونهم غير قادرين على أن يكتبوا في أنفسهم الشعور بعجزهم العلمي والإدراك غير المستطاب بأنهم مضطرون لأن يلعبوا دور المعلمين في مجال غريب عنهم في واقع الأمر، فقد حاولوا أن يتستروا بالغنى التظاهري لسعة معارفهم الأدبية التاريخية أوباقتباس مواد غريبة تماما من مجال ما يسمى بالعلوم الإدارية والمالية والاقتصادية ».[2]

نستنتج من خلال هذا القول أن الاقتصاديين ومن خلال عجزهم في هذا المجال كانوا مضطرون إلى لعب دور المعلمين حيث كان هذا الدور غريب عنهم لأنهم تقمصوا أدوار المعلمين، فتظاهروا بالغنى المعرفي في جميع المجالات خاصة ما يسمى بالعلوم الإدارية والمالية والاقتصادية.

---

[1]- **كارل ماركس، رأس المال،تر:فهد كم نقش، دار التقدم للنشر والتوزيع، موسكو، 1985،ط1، ص 19.**

[2]- **المرجع نفسه ، ص 19.**

فبالنسبة "لماركس" فإن مفهوم الاغتراب أوالاغتراب كنظرية وكظاهرة أن « فكرة الاغتراب تتضمن محتوى مغاير تماما لذلك الذي رأيناه عند كل من "هيجل" و"فورباخ" فقد لخصها لنا في طبيعة العلاقة بين نشاط الإنسان والمؤسسات والأشياء التي هي ناتج إبداعه الخاص، لكنها تتخذ لها في النهاية شكلا مستقلا، تصبح تمثل بمقتضاه قوى غريبة تواجهه وتعاديه ».[1]

هنا لاحظنا أن "ماركس" قد وضع مفهوم آخر للاغتراب ينافي ما وضعه "هيجل" و"فورباخ" والذي يتجسد لنا الاغتراب عند "ماركس" في طبيعة العلاقة بين نشاط الإنسان والمؤسسات والأشياء التي هي ناتج إبداعه الخاص أي ما يصنعه من آلات واختراعات ووسائل تكنولوجية متطورة لكنها تتخذ في نهاية المطاف شكلا مستقلا، تصبح قوى غريبة تواجهه وتعاديه.

« إن حركة المجتمع الرأسمالي الحافلة بالتناقضات تتجلى للبرجوازي العملي بصورة ملموسة للغاية في تقلبات الدورة المتكررة الملازمة للصناعة المعاصرة والتي تشكل الأزمة العامة نقطة الأوج فيها، وها هي ذي الأزمة تزحف من جديد على الرغم من أنها لا تزال في مرحلتها الأولية بعد وهي بفضل تنوع وشدة مفعولها ستقحم الديناميك حتى في رؤوس الأعباء المغرورين في الإمبراطورية البروسية الألمانية المقدسة الجديدة ».[2]

« ولقد اعتاد الاقتصاد السياسي على أخذ اصطلاحات الحياة التجارية والصناعية بالصورة التي وجدها فيها، واستعملها دون أن يلاحظ البتة أنه يقيد نفسه بذلك بدائرة ضيقة من المفاهيم التي تعبر عنها هذه الاصطلاحات، مثلا كان الاقتصاد السياسي الكلاسيكي يعرف معرفة اليقين أن الربح والريع لا يشكلان سوى جزئيين وحصتين من ذلك القسم غير مدفوع الأجر عن النتاج الذي

[1]– وابل نعيمة، الاغتراب عند كارل ماركس، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ، 2013،ط1، ص 59.

[2]– كارل ماركس، رأس المال،تر:فهد كم نقش،ص68.

يجب على العامل أن يقدمه لرب عمله الذي هو أول ما يستأثر به، ولكنه ليس مالكه الأخير الوحيد ».[1]

« وبذلك إنما ينمحي الفرق بين المرحلتين الكبيرتين والمختلفتين جدا في التاريخ الاقتصادي: مرحلة المانيفاكتورة بالذات القائمة على تقسيم العمل اليدوي، ومرحلة الصناعة الحديثة القائمة على استخدام الماكينات، ولذلك فمن البديهي أنه ينبغي للنظرية أن تتناول الإنتاج الرأسمالي الحديث بوصفه مرحلة عابرة ولا أكثر في تاريخ البشرية الاقتصادي ».[2]

نستنتج من هذه المقولة صراع أهم مرحلتين في التاريخ الاقتصادي أوبالأحرى نقول النقلة التي شهدها الاقتصاد آنذاك من العمل اليدوي إلى مرحلة الصناعة الحديثة هذا ما أحداث اغتراب اقتصاديا وسط العالم البشري ومنه أحداث هذا التطور مشكلة أخرى وهي البطالة.

« كما ربط "ماركس" الاغتراب بصور عديدة "الاغتراب السياسي" يصبح الفرد فيه تحت تأثير السلطة الطاغية مجرد وسيلة ولعبة بقوة خارجة عنه أما الاجتماعي ففيه ينقسم المجتمع إلى طرائق وطبقات وتخضع الأغلبية للأقلية... والاقتصاد هوعند "ماركس" الاغتراب الأساسي ولا علاج له إلا تملك الدولة لهذه الوسائل، ودفع الإنتاج دفعة قوية ».[3]

نستشف من خلال هذا القول والقول الذي سبقه أن "كارل ماركس" ركز على وجود علاقة بين بني البشر والمؤسسات التي هي من منعه وبعدها تصبح قوى معارضة له وتنفرد بحالها.

كما أن "كارل ماركس" قد اعتقد أن عملية التقدم الصناعي في المجتمعات الرأسمالية جعلت حياة البشر أكثر فساد وليس لها معنى، ويعبر عن الشخص المغترب اقتصاديا بوضعه في مكان

[1]– كارل ماركس، رأس المال،تر:فهد كم نقش، ص 37، 38.

[2]– المرجع نفسه، ص 38.

[3]– دياب قديد، المتنبي بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث، الاردن،2011، ط1 ، ص 14، 16.

يعمل به من غير متعة أوإحساس بأنه عنصر فعال مثله مثل الآلة التي لا تؤثر في قرارات بيئة العمل.

فالتحديات الاقتصادية حسب رأي "ماركس" هي التي تبعث حالة الشعور بالاغتراب.

2-سيغموند فرويد: (الاغتراب والتحليل النفسي):

لقد أسس "فرويد" مدرسة للتحليل النفسي كنظرية لا تتوائم مع غيرها من النظريات وتلغيها وإنما تبينها وتوضحها، فالاغتراب ظاهرة نفسية عامة، وهناك أسباب تحقق الاغتراب النفسي مثل الصراع الذي يحدث بين الدوافع والرغبات المتعارضة، وبين الحاجات التي لا يمكن إشباعها في وقت واحد، مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق واضطراب الشخصية.

يذكر "فرويد" أن كل فرد في الوقع هوعدوالحضارة ذلك أن الحضارة هي مصدر اغترابه وفي الحقيقة لم يعالج "فرويد" مفهوم الاغتراب بمفهوم مستقل بل تناوله في سياق أفكاره حول قلق الحضارة.

« ففي بعض الأحوال تبدوأجزاء من بدننا، بل عناصر من حياتنا النفسية، من إدراكات وأفكار ومشاعر، وكأنها غريبة وأجنبية ولا تؤلف جزءا من الأنا ».[1]

« وثمة واقعة على كل الأحوال تخلف فيه ولابد، أعظم الوقع وأقوى الأثر، وهي أن بعض مصادر الإثارة، التي لن يعترف إلا في زمن لاحق بأنها صادرة عن أعضاءه بالذات، قابلة لأن تزويده بالإحساسات في كل لحظة ودقيقة ».[2]

[1]- سيغموند فرويد، قلق الحضارة،تر :جورج طرابيشي، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، 1988، ط1، ص 8.

[2]- المرجع نفسه، ص 9.

هنا نلاحظ أن "فرويد" قد وضح لنا الاغتراب الذي يحس به الإنسان وهوفي مراحل نموه فعندما يكون طفلا أورضيع فهو في حالة استكشاف دائمة حتى لأعضاء جسمه التي تزوده بالمشاعر والأحاسيس.

« فحين يتهيب المرء من العالم الخارجي، فلا سبيل له إلى الاحتماء منه إلا بالتنائي والابتعاد في أي شكل كان على الأقل إذا كان يريد تذليل ذلك الإشكال وحده ».[1]

هنا نلاحظ أن "فرويد" قد أشار إلى ضرورة الابتعاد عن العالم الخارجي للاحتماء أحيانا ولتذليل بعض المشاكل التي قد يجد لها حلا وهوبعيد.

« إن الشعور حالة وقتية وليست دائمة، فالفكرة قد تظهر في الشعور لفترة قصيرة ثم تختفي وهي تستطيع الظهور مرة أخرى في الشعور بسهولة إذا توفرت شروط معينة، وحينما تبتعد الفكرة عن الشعور لحين ما فإنها تكون موجودة في قسم معين من الجهاز النفسي يسميه "فوريد" "ما قبل الشعور" وهويقع في مكان متوسط بين الشعور واللاشعور ».[2]

نستنتج من هذا القول أن مشاعر الإنسان في تغير مستمر ودائم وهوحالة آنية وقتية لكن قد تظهر مرة أخرى إذا توفرت لها الشروط اللازمة فمصطلحي الشعور واللاشعور أحدهما وصفي والآخر طوبوغرافي أحدهما يهتم "بالأنا" (الشعور) والآخر يهتم "باللهو" (اللّاشعور)، فالإنسان يجد نفسه في حالة اغتراب دائم بين هذان المفهومين.

---

[1]– سيغموند فرويد، الأنا والهو،تر:عثمان نجاتي ، دار الشروق، بيروت القاهرة، 1402هـ–1982م، ط4 ،ص 24، 25.

[2]– المرجع نفسه، ص 14.

« فأثناء تطور الإنسان الفرد المنعزل يبقى منهاج مبدأ اللذة، أي البحث عن السعادة، هو الهدف الرئيسي، بينما يبدو و الاندماج و التكيف مع جماعة من الجماعات الإنسانية شرطا شبه محتوم ولا مفر لنا من التقيد به ».[1]

هنا نلاحظ أن "فرويد" وأثناء تطور الإنسان الفرد المنعزل ينفي منهج اللذة أي البحث عن السعادة باعتبارها هي الهدف الرئيسي والأساسي بينما يؤكد رغبة الاندماج في الجماعة هوأمر محتوم ولا مفر للفرد منه، بينما البحث عن السعادة هي رغبة الفرد.

كما التمسنا أيضا أن "فرويد" استعمل في نظريته لفظة الشعور بدل الاغتراب وهذا من ركز عليه سيغموند فرويد في بعض كتبه ومقالاته فاستطاع أن يعطي مفهوم آخر لمعنى الاغتراب يتعلق بالجانب النفسي ألا وهوالمشاعر والشعور والأحاسيس وكل ما يصدر عن النفس البشرية.

« كما يرى فرويد أن الاغتراب يحدث للفرد نتيجة عدم سماح الحضارة له بإشباع غرائزه دون تأجيل، إضافة إلى دور اللاشعور في جعل الفرد يغترب عن مجتمعه نتيجة لعدم الفرد على مواجهة متطلبات المجتمع، مما يدفعه إلى سلوكيات تحافظ عليه للعيش داخل مجتمعه وهومقتنع بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات، الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة والوجود الطبقي المسيطر ».[2]

إذا نستنتج أن الفرد يولد ويكبر في مجتمع وهو يرى أن هذا المجتمع أوتلك الحضارة على حسب رأي فرويد لا تلبي حاجياته ولا تصل إلى حجم تطلعاته فهذا السبب يجعل ذلك الفرد يحس

[1]– سيغموند فرويد، قلق الحضارة،تر :جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص 111.

[2]– إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الاغتراب التمرد، قلق المستقبل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ، عمان، الأردن، 2011، ط1،ص 107.

باغتراب دائم إضافة إلى اللاشعور الذي يدفع بالمرء إلى التعايش داخل ذلك المجتمع وحتمية التأقلم معه وهوعلى دراية أن متطلبات المجتمع تتنافى وجوهر الذات.

إذا "ففرويد" صور لنا الاغتراب أنه جزء لا يتجزأ من الذات الإنسانية وسمة متأصلة فيه ولا يتم علاج ذلك إلا بإطلاق العنان للنفس.

3-هيجل والاغتراب الاجتماعي:

« فلا الوعي يجرى لنفسه مجرى هذا الهوالصاد، ولا الجوهر له دلالة كيان مصدود عن "الهو"، ما كان ليستوضع وإياه ذاته إلا عبر تغريب ذاته كان يكون لابد له في الوقت نفسه أن ينتجه ».[1]

« لكن هذا العالم ماهية روحية وهوفي ذاته تنافذ الكونية والفردية، وهذا الكيان الذي له إنما هوأثر الوعي بالذات، لكنه أيضا حقيق غريب عن الوعي بالذات وماثل في الحال، فهوالحقيق الذي له كينونة خاصة وحيث لا يعترف الوعي بالذات نفسه ».[2]

« وهذا الاغتراب الذي لها هوالوعي المحض أوالماهية أما الحاضر فيكون له في الحال ضده في الأخروي الذي هوتفكيره وكونه المفتكر، مثلما يكون لهذا الأخروي ضده في الدنيوي الذي هوحقيقة المغترب عنه ».[3]

نلاحظ أن "هيجل" وفي هذا القول ركز على ماهية الاغتراب، كما ذكر لنا الأمور الكونية مثل الدنيا والآخرة.

---

[1]- هيجل، فنومينولوجيا الروح،تر:ناجي العوتلي، توزيع مركز دراسات الوحيدة، العربية، بيروت ،2006،ط1، ص 513.

[2]- المرجع نفسه، ص 513، 514.

[3]-المرجع نفسه، ص 515.

« وهذه إنّما تكمّل الاغتراب في هذا الملكوت أيضا حيث ينجوروح المغترب بنفسه كأن في وعي السكون المساوي لذاته، إنها تفسد عليه تدبير البيت الذي يحكمه ها هنا من حيث إنها تدخل عليه الأدوات التي للعالم التحتي والتي لا وسع له بتكذيب كونها ملكة لأن وعيه يتسبب كذلك إلى هذا العالم ».[1]

« إنّ روح الاغتراب الذاتي يكون له كيانه في عالم الثقافة، لكن ما دام هذا الكل قد اغترب ذاتيا فإن عالما غير حاق للوعي الخالص أوللتفكير يقوم متنائيا عن (Jenseits) عالم الثقافة، فيكون مضمونه المفتكر الضرف والتفكير أسطقسه المطلق ».[2]

نلاحظ أن لروح الاغتراب الذاتي كيان في عالم الثقافة، ولكن مادام هذا الكل قد اغترب من ناحية الذات فإن العالم يقوم متنائيا عن عالم الثقافة، فيكون المضمون للتفكير.

إذا نلاحظ أن الاغتراب الاجتماعي هوالشعور بعدم التفاؤل بين ذات الفرد وذات الآخرين وتنقص المودة والألفة وندرة التعاطف والمشاركة، وضعف أواصر المحبة والروابط الاجتماعية مع الآخرين، بينما يشير الاغتراب السياسي إلى شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الايجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه على إعتبار أن رأيه لا يؤخذ فيه وغير مسموح به.

أما الاغتراب في الفكر الفلسفي الحديث، فيتفق الباحثون على أن هيجل كان أول فيلسوف وظف مصطلح الاغتراب توظيفا فلسفيا متميزا وارتقى بالموضوع إلى مرحلة النضج الفلسفي الحقيقي، لهذا صار الاغتراب عند هيجل يعني:

---

[1]– هيجل، فنومينولوجيا الروح، تر: ناجي العوتلي، توزيع مركز دراسات الوحيدة، العربية، ، بيروت، 2006، ط1، ص 516.

[2]– المرجع نفسه، ص 548.

« أن يغرب الإنسان نفسه عن طبيعته الجوهرية ليصل إلى حد التطرف في التنافر مع ذاته وقهرها بمعنى آخر أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى ».[1]

« كما أشار هيجل إلى العلاقة الحقيقية بين الفرد والدولة التي لم تعد ترضي قدراته بل توجد بوصفها نظاما مغتربا، اختفى منه الاهتمام السياسي الايجابي للمواطنين ».[2]

إذا نستنتج أن مفهوم الاغتراب عند هيجل من خلال قهر الذات والانفصال عنها فيصبح من نفسه شخصا آخر، كما ربط بين الفرد والدولة باعتبار هذه الأخيرة نظام مغترب عنه يحس الفرد فيه بفقدان دوره الايجابي.

ويقول هيجل في كتابه فلسفة الروح:« وإذا كانت الفكرة هي الجنس المجرد فإن الطبيعة هي الفصل، في حين أن العقل الذي تعين بالفصل قد أصبح الآن نوعا، أوهوروح الإنسان فقد تحولت الفكرة الحاصلة في الطبيعة إلى ضدها وأصبحت غريبة عن نفسها ».[3]

كما يقوم في كتابه فلسفة الروح تحديد في القسم الأول المعنون بالوعي الأصلي:

« انبثق الموضوع الآن من أعماق الذات واتخذ لنفسه وضعا مستقلا يواجهها واستقلال الموضوع هذا هوالذي يعرف في البداية، فلست أنا الموضوع، وإنما هوشيء غريب عني شيء لست جانبا منه، فلم يتبين بعد أن الموضوع إن هوفي حقيقته إلا إسقاط لذاتي، لكنه يبدوفي البداية

[1]– حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، سوريا، ،2011، العدد1+2، ص 24.

[2]– السيد علي شتا، الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، مكتبة الإشعاع للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر،1997، ط1، ص 63.

[3]– هيجل، فلسفة الروح، تر: جورج طرابيشي ،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ، بيروت، 2005، ط3، ص7.

خارجيا تماما ومستقلا وغريبا عن الذات فهوآخر مطلق يضادها، وهذا هوموقف الوعي الأصلي، وهويعرض علينا ثلاث مراحل: (1) الوعي الحسي (2) الإدراك الحسي (3) الفهم ».[1]

يبين لنا أن الموضوع هوإسقاط للذات وهومنبثق من الذات بالرغم من أنه يبدوفي البداية مستقلا وغريبا.

4-فورباخ (الاغتراب الديني):

« يعد "فورباخ" من رواد التنظير للاغتراب الديني إذ يرى أن الإنسان وضع أفضل صفاته في الألوهية إلى أن أصبح الإله صورة الكمال، وغدا الإنسان خاطئا يفتقد الكمال بصورة لا يرجى لها البرء، فالإنسان يجرد ذاته من كل ما هوطيب وقوي ليخلعه على الإله، وكلما جعل إلهه أعظم جعل نفسه أكثر ضالة ».[2]

نستنتج من قول "فورباخ" أن الإنسان صنع إلها ووضع له كل صفات الكمال وأفضل صوره في الأولوهية، وجعل من نفسه شيئا ناقصا يفتقد صور الكمال، فالإنسان يستأثر كل ما هوجميل وطيب لألهته، فكلما عظم إلهه وقدسه ورفع من شأنه، جهل نفسه أكثر ضلالة.

« كما نعني بالاغتراب الديني أن ينسب المؤمن قواه الذاتية إلى قوى خارج نفسه، ويسلمها مصيره باستقلال عنه، وينعكس ذلك في توجهات بعض الحركات السلفية منذ بدايتها بخاصة كما يبرز في مؤلفاته "ابن تيمية" الذي قال يحق الحاكم أن يفرض الطاعة على رعاياه، وواجب الرعايا أن يمتثلوا لإرادة الحاكم ولوكان ظالما بحجة أن ذلك خير من الفتنة وانحلال الأمة ».[3]

---

[1]- هيجل، فلسفة الروح، تر: جورج طرابيشي ، ص 28.

[2]- يحي العبد الله، الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ، 2005، ط1، ص 123.

[3]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، ، بيروت، 2006، ط1،ص 125.

« يغترب المؤمن في ذاته ودينه بقدر ما تتمكن السلطة من استخدام الدين كأداة».[1]

إذا فالمؤمن يحس نفسه مغترب في ذاته ونفسه كلما أصبحت السلطة تستخدم الدين كأداة.

« إن "كارل ماركس" كما أشرنا سابقا في الفصل الخاص، حول مفاهيم الاغتراب ونظرا بأنه يري في الدين، كما يمارس حقا في المجتمع، مصدرا من مصادر غربة الإنسان وعجزه في علاقته بالمؤسسات السائدة، من هذا الموقع النقدي يقول "ماركس": " الإنسان هوالذي يصنع الدين، وليس الدين هوالذي يصنع الإنسان، الدين هوحقا وعي الإنسان لذاته، فهوآهة المخلوق المقموع وعاطفة عالم لا قلب له، وروح الأحوال التي لا روح فيها... إن دعوة البشر للتخلي عن الأوهام التي تحيط بوضعهم هي دعوى للتخلي عن وضعهم الذي يحتاج إلى أوهام" ».[2]

يقول "كارل ماركس" أن الدين يعجز الإنسان ويقيده ويحسسه بالغربة وكأنه يساند بذلك مقولة الدين أفيون الشعوب، كما أشار إلى أن الإنسان هوالذي يضع الدين وليس الدين من يصنع الإنسان وكأنه يقول أن الإنسان هومن يتحكم في الدين ويؤسسه وليس العكس، فالدين كما أشار إليه "ماركس" إنه وعي الإنسان لذاته، وآهة المخلوق المقموع.

5-فروم والاغتراب:

«ولا يتحدث "فروم" كما فعل "ماركس" عن اغتراب الذات من خلال التباعد بين الطبيعة الجوهرية للإنسان ووضعه الفعلي، "ففروم" ينفي في كتابه "المجتمع السوي" فكرة أن هناك جوهرا واحدا يمكن أن يشترك فيه الناس جميعا، وعلى الرغم من أن "فروم" يشير إلى أن الوجود الإنساني

[1]- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ، ص 126.

[2]- المرجع نفسه، ص 128.

يتميز بالتناقص الكامن في وجوده من حين "أنه جزء من الطبيعة يخضع لقوانينها الفيزيقية... ومع ذلك يتجاوز باقي الطبيعة " ».[1]

وعلى الرغم من أن "فروم" لم يقر بفكرة الطبيعة الجوهرية للإنسان، فإن قوله بالذات الأصلية والذات الزائفة قد جعله ينزلق إلى معالجة اغتراب الذات على أنه حالة أقرب إلى الانفصال عن طبيعة مثالية للإنسان.[2]

« ويبدوأن مفهوم الذات الأصلية يرادف عند "فروم" مفهوم الذات الغير المغتربة التي حققت وجودها الإنساني المتكامل أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصيل ».[3]

II. أنواع الغربة:

إن الغربة ظاهرة قديمة عاشها الكثيرون ومروا بها منذ أقدم العصور فأصبحت من أصعب المشاكل التي يعاني منها الإنسان ومنها تعددت مشاكلها بتعدد أنواعها وأسبابها ونتطرق بهذا إلى أهم أنواع الغربة ومن خلال هذا تقديم أشرنا إلى تقسيمها كما يلي:

1-غربة المجتمع:

تعد العزلة الاجتماعية سبب من أسباب الغربة ومظاهرها و"شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمان والعلاقات الاجتماعية الحميمية والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد

---

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، 2003، ط1 ،ص 40، 41.

[2]- المرجع نفسه ، ص نفسها.

[3]- المرجع نفسه، نفسها.

بينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد وقيم المجتمع ومعاييره".[1]

وفي هذا الحديث يقول المعري في غربة المجتمع:

"فرَّج العيش من صفووَرَنق ودع شجينك من هند ودعد

ولا تجلس إلى أهل الثنايا فان خلائق السفهاء تعدي".[2]

في هذه الأبيات يدعونا المعري إلى عدم الجلوس مع أصحاب السفه لان مصاحبتهم تقود إلى ضياع الإنسان وتمزق روحه، فبروز الغربة الاجتماعية كانت بانتشار الظلم الاجتماعي وبهذا ظهرت الغربة الاجتماعية مجسدة انتشار المفاسد وكيف يبدأ الشعور بالرفض الاجتماعي والعزلة فالشاعر دعا أيضا إلى الابتعاد والانعزال وليس فقط بمقاطعة الأصحاب من ذوي خصال السفه بل أيضا في الاعتزال في بيته ليريح فكره وسلوكه والهروب إلى عالمه الوحيد، بقوله:

"تغيّبت في منزلي برهة ستير العيوب فقيد الجسد

فلما مضى العمر إلا الأقل وحمّ لروحي فراق الجسد".[3]

فالغربة التي مارسها الشاعر هي الهروب عن كل ما يزعجه، وهي بهذا ملاذه الوحيد، وغربة المجتمع تتجسد في وصفه لغربة الغدر وعدم الثقة والاحترام من أناس عاشرهم وكانوا يرتدون قناع الدين لخدمة مصالحهم الخاصة، وفي هذا قال فيهم:

"شكوت من أهل هذا العصر غدرهم لا تُنكرن فعلى هذا مضى السّلف

أمسى النّفاق دروعا يسجنّ بها من الأذى ويقوّي سردها الحلفُ".[1]

---

[1]– يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الاوطان ،دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع ،عمان، الاردن ،2008 ،ط1، ص 19.

[2]– أبوعلاء المعري، لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) ،دار نشر دار الصادر ،القاهرة ،1987، ط1، ج1، ص 358.

[3]– المرجع نفسه، ص 564.

ويمكن أيضا أن تقتصر الغربة الاجتماعية بفقد الصالحين وفي هذا "نذكر الجاحظ أن من أصدق الشواهد في حب الوطن أن يوسف عليه السلام لما أدركته الوفاة أوصى أن رمّته إلى موضع مقابر أبيه وجده يعقوب وإسحاق وابراهيم عليهم السلام، وفي ذلك دليل على حبّ الوطن والرغبة في العودة إلى الموطن الأصلي حتى لوكان ذلك بعد الموت".[2]

ولاريب أن الغربة الاجتماعية أوغربة المجتمع نتجت وبرزت من خلال تفشي الخلل الاجتماعي الذي عايشه المرء في مجتمعه في مرحلة الزمنية ممتلئة بالنفاق وعدم الاحترام الذات البشرية والثقة الروحية وتسخير الدين لمصالح خاصة ولباس أقنعة نفاق وبهذا تعتبر العزلة السبيل الوحيد وملاذ آمن.

2-غربة المكان:

إن المكان هومنشأ أولي الذي يتكون فيه الإنسان ويعايشه ويتآلف معه ويزود فيه علاقته مع العالم الخارجي وهوالأصل وبهذا التغيرات التي تطرأ على المكان تطرأ على الفكر الإنساني وفي هذا سياق نذكر عن الغربة مكانية،"الحنين إلى المكان يظهر عند ابن دراج ألقسطلي من خلال تذكر(قرطبة) ورغبته في العودة إليها زمن الفتنة في عهد الأمير المنصور قد ولى من سجل التاريخ إلا أنه مازال راسخا في وجدان الشاعر،صورة حية ، لا يجد الظل لها طريقا وكأن الأمس هواليوم عنده، إنها صورة تظهر مائلة، فقد ابتعد عنها وجد نفسه في مكان غير مكانه، ومازال البعد مكانيا وليس بالحس والجسد، فهي قريبة منه فكل موقع منها يشكل عنده محطة من محطات التذكر والحنين".[3]

---

[1]- **أبوعلاء المعري، لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) ، ص 154.**

[2]- **عمروبن بحر الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ، دار الرائد العربي للنشر، 1982، ط2،ص 42.**

[3]- **عبيدة الشبلي، شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث، مركز حرمون للدراسات المعاصرة،العراق،2018،ط1، ص 08.**

وفي هذا يقول من البسيط:

""يا معهد لم يضع عهد الوفاء له مكسف النور عافي القدر ضائعه

ولاثف عبراتي عن تذكره دهر تقارع في صدري قوارعه ".[1]

ما نلاحظه في هذه الأبيات حنين وشوق عظيم للوطن مكانا وهنا يرسم الشاعر لوحه الغربة المكانية فخياله مرتبط بذاكرته التي تتداخل مع أحاسيسه متعلقة باشتياقه للوطن تكاد تكون أكثر وضوحا واتصالا من خلال مناجاته لتربه قرطبة " فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا بذكريات ماضية ".[2]

فعل الرغم من الحياة السعيدة التي عاشها سرقسطة من نعم وخيرات إلا أن ذلك لم يجعله يعيش هذا الحاضر المزدهر كما كان عيشه في قرطبة فشعور حنين المكاني في ظل يستولي على قلبه.

3-غربة الأسر:

إن التغرب عن الأهل والأحباب أقصى أنواع عذاب والحنين خاصة عندما يكون البعد المكروه ومقدر كما هوالحال في حال أبي فراس الحمداني في غربته في الحبس فقد كانت غربته مملوءة بالظلم والشكوى والحزن العميق "غادرها على كره منه ومن ثم أحس بالانكسار والحزن لأنه غادر أشياء كثيرة غير الأشياء المادية التي تحيط به".[3]

ويزداد إحساس بالحزن وعمق خاصة حين يبقى بعيدا عن الأسرة وهنا تكون فاجعة مؤلمة واشد عليه من فاجعة الموت والفناء خاصة حين تطيل مدة الحبس على الشاعر وفي هذا يقول أبي فراس الحمداني :

---

[1]- محمود علي مكي، ديوان ابن دراج القسطالي، منشورات المكتبة الإسلامي،دمشق، 1961، ط1،ص 138.

[2]- غاستون باشلار، جماليات المكان،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر،بيروت ، 2000،ط2، ص 06.

[3]- عبده بدوي، الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر،2011، الكويت،ج1، ص 184.

"إن في الأسر لصبّا دمعه في الخد صب

هوفي الروم مقيم وله في الشام قلب "[1]

وقد بلغ "عدد أشعاره ثلاثين قصيده وخمس عشرة مقطوعة تتناول فنون الشعر جميعها،من تصوير حالة الأسر، واستعطاف بسيف الدولة لفك أسره ومعاتبته على الابطاء .ومعاتبه أصدقائه،والشكوى منهم لتذكرهم له في محنته، وتتضمن ألوان من حنينه إلى موطنه،وديارة وأهله والفخر بنفسه،وبما قدم من بطولات قبل أسره بألمه وحسرته وأساه ".[2]

وقد امتزجت غربه الحمداني بحزن على الأم والرثاء عليها التي كانت تعني له كل شيء وتشاطره الحزن في غربته حيث كتب لها وهويخبرها عن الجراح التي أثقلت قلبه "

"مصابي جليل والعزاء جميل وظني بان الله سوف يديل

جراح واسر واشتياق وغربه احمل إني بعدها لحمول "[3]

وأيضا قد عبر عن حزن فقدانها فلم يكاد يسمع بموتها حتى انطلق لسانه بأعظم صور والرثاء لفقدها ومحبتها، لأنها عانت معه في السراء والضراء وخاصة بعد فقد ابنها في الأسر وتحسرت عليه كثيرا فماتت من شده ذلك وفي هذا يقول:

"أيا أم الأسير سقاك غيث بكره منك ما لقي الأسير

أيا أم الأسير سقاك غيث تخير لا يقيم ولا يسير "[4]

4-الغربة الاجتماعية:

[1]- خليل الدويهي، ديوان أبي فراس الحمداني، دار الكتاب العربي، ، بيروت، 1994،ط1، ص 48.

[2]- نعمان القاضي، أبوفراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، 1982،ط1، ص 338.

[3]- خليل الدويهي، ديوان الحمداني، ص 252.

[4]- المرجع نفسه، ص 161، 162.

الإنسان إجتماعي بطبعه وهو كائن ليس بشيء منفصل عن مجتمعه وهوعنصر أساسي في مجموعه البناء الإنساني، فالإنسان يؤثر في المجتمع ويتأثر به،وبهذا يتفاعل مع أسرته في المنزل، ومع رفاقه وجيرانه في الحي ومع عامة الناس في القرية والمدينة ويتأثر بالكوارث السياسية والإجتماعية في وطنه وخارج وطنه ويعيش حالة الالتزام بقضايا الوطن،وهذا ماعاشه الجواهري مع تجربته في الغربة الاجتماعية في قصيدته ثوره الوجدان :

سكت حتّى شكتني غرّ أشعاري واليوم انطق حرا غير مهذار

سلطت عقلي على ميلي وعاطفتي صبرا كما سلطوا ماء على نار "[1]

وتتجسد الغربة الاجتماعية خاصة في زمن تكاد الرحمة تنقطع من قلوب الناس وأصبح القوي يأكل الضعيف، وكلمة الحق مذمومة وفي هذا يقول في قصيدته الأنانية:

أرى الدهر مغلوبا ضعيفا وغالبا فلا تعتبن لا يسمع الدّهر عاتبا

ولا تكذبن ما في البرية راحم ولا أنت فاترك رحمة عنك جانبا.[2]

5-الغربة النفسية:

إن سبب الغربة النفسية الشعور بالوحدة والإنعزالية، في الغربة النفسية مرتبطة بتجربة ذاتية يعيشها الإنسان، وفي هذا السياق نذكر أديبنا والشاعر محمود درويش وتجربته في الغربة النفسية التي عاشها وعن منها بسبب موقفه من السلطة السياسية وايضا قد حملت هذه الغربة معاني عميقه ودلالات باطنية خاصة في مكان يحمله من سلطة التقاليد والأعراف، فأخذ يعبر عنه في قصائده أملا منه أن يعطي نفسه طمأنينة بعيدا عن زمن لا استقرار والتبعية وفي هذا يقول في قصيدته أغنية :

---

[1]- نجاح عطار، الجواهري في العيون من أشعاره، دار الطلاس للطباعة والنشر،العراق، 1998،ط4، ص 77.

[2]- المرجع نفسه، ص 115، 116.

"وحيدا أصنع القهوة

وحيدا اشرب القهوة".[1]

فمحمود درويش قد عانى من جراح التهميش وويلات البعد خاصة البعد عن الوطن وفي هذا يقول في قصيدته لا مفر:

"وطني عيونك ام غيوم ذوّبت

أوتار قلبي في جراح اله !".[2]

كان درويش في غربته النفسية يتكلم بلسان ولسان غيره في تعبير عن المأساة والتألم ولعل اقوى ما قاله درويش من عبارات ودلالات التي تمثل الجوهر الحقيقي للغربة النفسية ما ذكره أبوحيان التوحيدي بقوله :"واغرب الغرباء من سار غريبا في وطنه وابعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه ،الغريب من إذا قال لم يسمع قوله، وإذا راوه لم يدور حوله، وإذا تنفس أحرقه الاسى والأسف وأن كتم أكمده الحزن واللهف، إذا زار أغلق دونه الباب وإن إستأذن لم يرفع له حجاب "حيث كان الصمت سلاحه الوحيد في التعبير عن غربته النفسية وبحثه عن ذاته المجهولة قال في قصيدته جواز السفر:

"لم يعرفوني في ظلال التي

تمتص لوني في جواز السفر

عار من الأمم... من الإنتماء ".[3]

[1]– محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، رياض الريس للنشر، رياض،، 2005،ط1، ص 39، 40.

[2]– المرجع نفسه، ص 247، 248.

[3]– المرجع نفسه، ص 371، 372.

6-غربة المثقف

يعتبر المثقف من عناصر النخبة في المجتمع والتي لها دور فعال سواء في جانب سياسي أوديني ونقصد بالمثقف هم الأدباء والفلاسفة والمثقفون وبمعنى آخر المثقف هوصاحب الرأي أوصاحب القلم والذي لديه وظيفة فكرية أخلاقية يكون لها دور طليع في مجتمع وفي ممارسات اجتماعية وكما يعرفه ابن خلدون: « أعلم أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره إلا أن الحاجة في أوّل الدولة إلى السيف مادام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم، لأنّ القلم في تلك الحالة خادم فقط ومنفذ للحكم السلطان... وأمّا في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنّه قد تمهد أمره ولم يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك والقلم هوالمعين له في ذلك... »،[1] فالمثقف هو الذي يطمع بشكل دائم إلى الإهتمام بالقضايا الحقيقية ولذلك يهتمون بالأفكار كأسلحة أكثر من اهتمامهم بحقيقة الأشياء، وفي هذا يقول جان بول سارتر: « إن المثقف هوالإنسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العملية، وبين الايدولوجيا السائدة »،[2] فالمثقف لدى جان بول سارتر يعتبر إيديولوجي أكثر منه فيلسوف وبهذا تمتد أفكاره إلى أبعد نطاق مهنته فيبدأ بإنتقاد النظام الإجتماعي وبهذا يكون المثقف في حلة الشخصية العصرية تقاوم كيد السياسة وكل ما يواجه المجتمع وتضر بالجماهير.

وأحيانا يهمش هذا المثقف بعد معاناة طويلة في مشواره الدراسي والعلمي وأحيانا يكون مثقف أعمق من ذلك يكون واعي بما يحدث ويدور في بلده من بطالة وآفات اجتماعية واختلاف أفكاره

---

[1]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الفصل 35، في: بين مراتب السيف والقلم في الدول، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، 2002،ط1، ص236.

[2]- ينظر: جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، تر:جورج طرابيشي، دار الآداب، ، بيروت، 1973،ط1، ص 30، 33.

تأثر به سلبا ويصبح بهذا منعزلا عن الناس بعد أن اكتشف أن قلمه اختزل مساحة الحرية ممكنة وقريبة من حقيقة خصوصا بعد رؤية صعود المثقف المزيف المدعوم من خلال تحليل الواقع ونشر الثقافة التي ترضي الأنظمة القائمة ولا تخرج عن نصوص استخباراتها وشرعوا بالحديث عن هموم المواطن واحتياجاته ويحللون الواقع ويعطون رأيهم في مسائله وقضاياه على النهج الذي ترتضيه الأنظمة.

وهنا نجد المثقف داخل غربة كانت سببها عزلته ومحيطه الإجتماعي أو بالأحرى سبب توغل المثقف في غربته إرتقاء فكره إلى مستوى أعلى من منسوب الوعي السائد حوله وهذا ما يسمى بالغربة الثقافة أوغربة الوعي وهي مختلفة اختلافا كليا عن غربة الوطن وغربة الجسد ومن أسباب التي جعلت المثقف يعيش الغربة واللانتماء فكري داخل مجتمعه نذكر:

1-الخوف من النظام القائم بدأ داخل الأسرة في شكل تربية جعلته أسير عادات والتقاليد.

2-المناهج الدراسية التي يدرسها كل فرد منذ بداية نشأته حتى يصبح مواصلنا فاعلا في المجتمع هذه المناهج مملوءة بأفكار المسمومة صارت بعدها جزءا من الأعراف لا يجوز الخروج عنها.

3-عدم ثقة الموثق بأدبه الذي يفتقر إلى التحليل الواعي والمنطقي وتبسيط المواضيع الهادفة للجمهور الذي أصبح يعيش اغتراب الفكر والثقافة.

4-عدم قدرة المثقف على تقديم الأفكار البناءة التي تخدم المواطن للمواطن وبهذه الأسباب وغيرها تنتشر الغربة بين المثقف والقارئ وتجعلهم لا يميزون حاجاتهم للثقافة أوالفكر وتجعل المثقف في صراع مع ذاته ومع مأساته الفردية وهذا صراع يؤثر في وظيفته وهي الالتزام الواعي والمنطقي بقضايا وطنه وشعبه.

III. أنواع الاغتراب:

إن الاغتراب وباعتباره إشكالية كبيرة واجهت الدارسين والباحثين والنقاد في تحديد مفاهيمه نظرا لغموضه وتشعبه واختلاف أنواعه التي كانت أكثر منه غموضا وتعقيدا، فللاغتراب أنواع لا تعد ولا تحصى كانت موجودة ولا تزال مدام الإنسان في تطور وتغير دائم فسيتوسع مفهوم الاغتراب وتتوسع أنواعه وتستمر مع استمرار المغامرة الإنسانية، ومن هذا المنبر سنحاول أن نزيح الستار على بعض وأهم الأنواع التي نذكرها كالتالي:

1-الاغتراب النفسي: (Psychollogicalaliention) :

شاع إستخدام مفهوم الاغتراب النفسي كثيرا في البحوث النفسية والاجتماعية وخاصة بعد نقله من السياق الفلسفي إلى مجالات معرفية أخرى، ويراد به : « تلك الحالة التي يشعر بها الفرد بانفصاله عن طرف إنساني مثالي، فيتطلع تبعا لذلك إلى الإنعتاق من العالم المحيط به إلى عام من وضع نفسه، حيث يتمثل ذلك في عدم التكيف أوالتجاوب مع المجتمع أوالبيئة التي يعيش فيها الإنسان نتيجة لأمور طارئة أوهجمة تقاليد وعادات عربية تحدث هزة في الشعور والوجدان».[1]

نلاحظ من خلال هذا القول "لنزاد حمد عمر" أن الاغتراب النفسي هو محاولة إنقلاب على مجموعة العادات والتقاليد التي يصطدم بها الإنسان فور بلوغه ووعيه على الحياة فهناك من يتعايش مع الوضع بشكل عادي فلا يحاول تغيير أي شيء من هاته العادات والتقاليد، ولكن هناك من لا يتعايشون مع هذا الوضع ولا مع هاته العادات والتقاليد فيحاولون بناء مجتمع خاص بهم من صنع أنفسهم ومخيلتهم وهنا يحدث الاغتراب النفسي الذي يتمثل في محاولة الإنتقال من وضع إلى وضع آخر.

[1]- نزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012،ط1، ص 175.

كما يعرف أيضا أنه: « حالة وجدانية عنيفة تستولي على خيال الأديب والفكر، تشعره بالحاجة الملحة إلى الفرار من البيئة التي يعيش فيها لأنها لا تتفق ومزاجه وأحلامه، ولا ترضى أشواق روحه، إلى بيئة جديدة يصفها خياله، ويتوق إليها لأنها تزيد من قوة حياته الروحية وتوسع من دائرة أفقه ».[1]

نستشف من هذا القول أن الاغتراب النفسي يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية إلى التمزق والضعف عندما ترى أن المجتمع لا يرقى إلى مستوى أحلامها وتطلعاتها، فيحاول أن يضع كما قلنا سابقا بيئة خاصة به يصفها خياله، بيئة لا تتأثر بالعمليات الثقافية والاجتماعية التي تفقد الشخصية مقومات الإحساس بالوجود والديمومة.

كما عرف (Homy): "هومي" الاغتراب النفسي بأنه : « اغتراب عن الذات، حيث يبدأ أولا بانفصال الشخص عن مشاعره الخاصة به وقيمه ومعتقداته ومن ثم يفقد الإحساس بذاته باعتباره للاعضويا ».[2]

نستنتج من خلال هذا القول أن الاغتراب النفسي هوشعور الإنسان بالانفصال عن نفسه وعن الآخرين فيفقد الإحساس بذاته وكيانه لأن شخصية الفرد وحضوره تتمثل في فرض نفسه وسط المجتمع ووسط الناس فإذا إنطوى على نفسه واعتزل عن المجتمع فتصبح لديه اضطراب نفسية ومنها يحس بالاغتراب وفقدان الذات.

« وهوسياق يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة في العالم وفتور أوجفاء وعلاقته بالآخرين، فالانفصال عن الذات والواقع وشعور الإنسان باختلافه عن

---

[1]– سعاد عبد الوهاب العبد الرحماني، النص الأدبي التشكيل والتأويل، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ، 2011، ط1،ص 155.

[2]– صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقة بالتوافق النفسي الاجتماعي،دار الزهران للنشر و التوزيع،العراق،2012م،ط1، ص 58.

الآخرين، وافتقاد الإحساس بالعلاقة بينهما، ومن ثمة انعدم الشعور بالقدرة على تغيير الواقع أوإفتقاد القدرة على إكتشاف القيمة في الحياة، كل ذلك قد يخلق حالة من اغتراب الذات عن الخارج».[1]

إذا فنقول أن ظاهرة الاغتراب النفسي هي من أخطر الظواهر على وجود المجتمع الإنساني، ذلك لأنها تهدّ كيانه عن طريق تفكيك الروابط الإنسانية بين أفراد المجتمع الواحد، وتسعى لهدم المعايير الإجتماعية وتحريف القيم وتبديلها بقيم تجعل كل فرد بفعل ما يريد دون مراعاة العادات والتقاليد في مجتمعه، وإستخدام قيم جديدة قد تكون سيئة وسلبية تؤدي إلى الإنحلال الأخلاقي، فيصبح الإنسان المغترب في هذا العصر ليس خطرا كبيرا على نفسه فقط بل على مجتمعه الذي يعيش فيه، حيث تنزع من داخله الإحساس بالإنتماء والولاء له نتيجة فقدان الثقة في إمكانية تحقيق ما يصبو إليه من أحلام وتطلعات، وإشباع حاجاته.

2-الاغتراب الاجتماعي: (Social alienlion) :

الاغتراب الإجتماعي يعني الانفصال عن المجتمع والشعور بالعزلة الإجتماعية، والتخلي عن النظام المعياري للمجتمع والدخول في الحالة اللامعيارية، بحيث تنمو صورة الذات من خلال التفاعل الاجتماعي، وذلك من خلال الاغتراب الإجتماعي عن المجتمع ومغايرة معاييره والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية.

« يعد الاغتراب أحد الأسباب التي تهدد النسيج الإجتماعي للمجتمعات، ويرتكز بشكل خاص- في حالة تعرض الفرد- إلى الفصل أوالخلع بطريقة ما عن أفراد مجتمعه وثقافته العامة، ولعل أهم مظاهره الرفض والنبذ ».[2]

---

[1]- رجب محمود، الاغتراب، منشاة المعارف المصرية، الإسكندرية، 1978م، ط1، ص35.

[2]- محمد الهادي بوطارن،الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي،دار الكتاب الحديث،مصر،2010م،ط1،ص69

نستنتج من خلال هذا القول أن حالة الاغتراب التي يحس بها الفرد داخل مجتمعه هي لا تهدده هو فقط بل تهدد المجتمع ككل لأن الفرد وبإعتباره شخصية مهمة يبنى عليها المجتمع فالاغتراب الذي يعاني منه الشخص يجعله منبوذا مرفوضا، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع وإذا فسد الفرد فسد المجتمع، فالفرد جزء لا يتجزأ من المجتمع.

3-الاغتراب الاقتصادي:

« ومما لا شك فيه أن الظروف التي يعيشها العامل داخل إحدى المؤسسات أوالمنظمات تؤثر على صحته النفسية والجسمية، خاصة بعد التقدم التكنولوجي المذهل الذي يشهده العصر، مقارنة بما كان عليه الفرد في العصور السابقة ».[1]

« وهذا ما أشر إليه "لويس مورجان" عند حديثه عن الاغتراب العمل، موضحا أن الإشكال المبكرة والسابقة على الزراعة كان ثمة نوع واحد من التوحد بين الإنسان والعمل، هذه الخاصية الأساسية التي تميز حياة الجمع والالتقاط التي تعتبر أول وأبسط مظاهر النشاط الاقتصادي، ففي هذه الأشكال المبكرة والبدائية (مثل: الرعي والصيد والزراعة) كان الإنسان يشارك في جميع خطوات العمل، بما في ذلك صنع أدوات الإنتاج ذاتها، أما المرحلة الثانية من مراحل التطور الاقتصادي في تاريخ البشرية كان الإنسان يشرف بنفسه على رعي قطعانه ويصنع خيامه من جلود الحيوانات، وكان يعتبر الحيوانات امتدادا لوجوده وكيانه وجزءا من جماعته وهذا بعني أن الإنسان لم يكن مغتربا عن العمل الذي يمارسه أوعن أدوات الانفتاح التي يستخدمها في العمل».[2]

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2003م،ط1،ص69

[2]- المرجع نفسه،ص 85، 86

« ويمكن فهم الاغتراب عن العمل في ضوء محاولات "ماركس" للربط بين الشعور بالاغتراب وظروف العمل، حيث يعد "ماركس" هوأول من اهتم بالعلاقة بين الاغتراب وظروف العمل، حيث يعد "ماركس" هوأول من اهتم بالعلاقة بين الاغتراب والنظام الاقتصادي ».[1]

إذا نستنتج أن العمل والإنتاج الجوهر الأساسي للعملية الاقتصادية، والتي يتميز بها الإنسان عن الحيوان يمكن فهم الاغتراب الاقتصادي في ضوء محاولات "ماركس" للربط بين الشعور بالاغتراب وظروف العمل، ونفهم أن "كارل ماركس" ربط الاغتراب الاقتصادي بالتطور التكنولوجي ترك وسائل المعيشة البسيطة القديمة والتوجه إلى الآلات المتطورة هوجعل العالم، والحياة البشرية أكثر فسادا.

فالإنفصال عن زملاء العمل وعدم الشعور بالإنتماء، وعدم السيطرة على إيقاع العمل، وعدم وجود معنى وهدف حقيقي للعامل في العمل يؤثر على العملية الإنتاجية والتي تعتبر حالة من حالات الاغتراب الاقتصادي.

4-الاغتراب الثقافي:

« ولابد للمثقفين أنفسهم من معالجة مشكلة عزلة المثقف عن الشعب، ومن إقامة علاقة سليمة بين المثقفين والشعب، إذا لا يكون التعليم أوالتعلم باتجاه واحد، بل يستفيد كل فريق من تجارب الآخر، ولابد من التحرر من تلك الفرضية التي تقول إن الشعب لا يعرف مصالحه ومن دون هذا التوجه تكون الثقافة بحثا في المجردات ومنفصلة عن مهمات التغيير ».[2]

إذا فالمثقف إذا لم يعالج مشكلة العزلة لدى هاته الفئة فلا يمكن لأحد آخر غيره معالجتها.

---

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة ،دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2003م،ط1،ص88

[2]- د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006،ط1، ص 21

« الاغتراب الثقافي: تنازل الإنسان عن حقه الطبيعي في امتلاك ثقافة حرة متطورة إراحة لذاته وإرضاءه للمجتمع ».[1]

الملاحظ من هذه المقولة أن الإنسان قد أثر إراحة متميزة وإرضاء المجتمع على رغباته وثقافاته ورغبته في كسب ثقافة حرة متطورة.

الاغتراب الثقافي عند " كينسون":

« ينظر إلى الاغتراب من خلال المفاهيم الثقافية، وهويدرك أن اصطلاح الاغتراب يمكن أن يستخدم فيما يتعلق بظواهر أخرى، ولكنه يختار قصر اصطلاح الاغتراب على الرفض الصريح والحر الذي يختاره الفرد لما ينظر إليه على أنه القيم أوالأعراف السائدة في المجتمع ».[2]

نلاحظ أن الاغتراب الثقافي عند "كينسون" يتميز في القيم والأعراف السائدة في المجتمع كما أنه يمكن اصطلاح مفاهيم أخرى لكن مصطلح الاغتراب هومصطلح صريح.

الاغتراب الثقافي عند "هيجل":

« الثقافة عند هيجل تحمل معنى واسعا عنده، ليشمل كل ما ينتجه الإنسان ابتداءا من التقنية حتى الشعور، بما في ذلك السياسية والدين والفلسفة والفن أي تشمل مجموعة النشاط الذي يمارسه الفرد أثناء محاولة السّامي بذاته إلى المستوى الكلي عن طريق سلب ذاته والاغتراب عنها بغية تحقيق أواكتساب الوجود الحقيقي ».[3]

أما "هيجل" فنستنتج أنه أعطى للاغتراب الثقافي معنى واسع ليشمل كل ما ينتجه الإنسان ابتداءا من التقنية حتى الشعور، كما يشمل مختلف العلوم الأخرى كالدين، الفلسفة، السياسة.

---

[1]– د. علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة الثقافية،مجلة جامعة المشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية،إمارات العربية المتحدة،2012/10/31، ص 4.

[2]– حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006،ط1، ص 8

[3]– المرجع نفسه، ص 8.

فالاغتراب الثقافي على حسب رأي "هيجل" يحدث عندما يحاول الفرد السّامي بذاته نتيجة بعض النشاطات التي يقوم بها وذلك يكون عن طريق سلب ذاته والاغتراب عنها بغية كسب الوجود الحقيقي.

« إن مشكلة اغتراب الشباب مشكلة ثقافية تربوية أكثر من كونها اجتماعية أونفسية وبعبارة أخرى فإن ما يسمى بالفجوة الثقافية (Cultural gop) أوالصراع الثقافي (Cculturalconflict) ما هوإلا صراع بين القيم والعادات، فالجيل الجديد من الشباب يرفض القيم والمعتقدات وشبكة العلاقات التي قد تفرضها الأسرة ومن جهة أخرى يرفض أن تحدد الإدارة المدرسية أنشطته وممارساته داخل المدرسة فينشأ من هنا الاغتراب الاجتماعي داخل المؤسسة التربوية وخارجها ».[1]

إذا فمشكلة اغتراب الشباب مشكلة ثقافية بالدرجة الأولى فهذا النوع من الاغتراب هوعبارة عن فجوة ثقافية أوصراع بين العادات والتقاليد والقيم التي وجد مجتمعه ينموعليها، فهذا الجيل الجديد يرفض هذه القيم والعادات والتقاليد التي يفرضها المجتمع عامة والأسرة خاصة حتى أنه يرفض أن تمارس المدرسة أوالجامعة سلطته عليه أوأن تحدد له نشاطاته ومن هنا يحدث الاغتراب.

« إن للثقافة دورا هاما في صياغة الهوية والانتماء وصناعة الإنسان وتعتبر ظاهرة الاغتراب من أهم الظواهر السلبية في العالم الحديث المعاصر، وقد تبلورت عل مدى سنوات عديدة، واتخذت مظاهر تختلف في شدتها بين الماضي وبيم ما هي عليه من الزمن الحاضر ».[2]

فنلاحظ أن الثقافة هي عبارة عن هوية نستطيع من خلالها أن تتعرض على الشعوب الأخرى وعاداتهم وتقاليدهم وطريقة تفكريهم وكل هذا دون أن نسافر أونبذل أي مجهود يكفينا فقط أن نطلع على ثقافات العوالم الأخرى.

---

[1]– حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006،ط1، ص12.

[2]–علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، الاغتراب الثقافي لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة الثقافية،مجلة جامعة المشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية،إمارات العربية المتحدة،2012/10/31، ص 2.

هنا نلاحظ أن الكاتب قد أشار إلى نقطة مهمة وهي أن للعزلة جانبان السلبي والايجابي وهذا ما يغفل عليه البعض فالعزلة المطلقة أي التي لا حدود لها ولا عذر وتبرير هي كالجحيم ولا يمكن تصورها إلا سلبيا، لكن عندما تكون العزلة لأغراض أخرى كالانعزال للتأمل في خلق الله وتوطيد الصلة بالله سبحانه وتعالى أوالعزلة بغرض كسر والابتعاد عن الروتين اليومي الممل فهذا ما عسانا إلا أن نقول أنه إنعزال إيجابي وهومرحلة من مراحل نموالإنسان الروحي..

IV. أسباب الغربة:

لقد تنوعت أسباب الغربة وتعددت في عوامل مختلفة منها العوامل الإجتماعية والسياسية والنفسية وخاصة الاجتماعية منها، فالغربة تنعكس على الذات الإنسان ما دام يعيش في وضع إجتماعي مضطرب ويمكن إبراز بعض الاسباب التي جعلت من الإنسان أن يعيش هذه الظاهرة ومنها :

1-في أغلب الأحيان الغربة التي يعيشها الانسان تكون واقعا يفرض نفسه على الكثير من الشباب خاصه الذين يعانون الحروب وويلات الدمار وانواع العذاب فيجد المرء نفسه مجبر على الغربة بسبب الاسر والحروب والظلم والنفي والتشريد والفقر.

2-طبيعة الأوضاع في الوطن أوالبنى الاجتماعية سواء كانت اقتصاديه وسياسيه منتشرة في المجتمع من حرمان وظلم "وفشل الانسان في الوفاء بالوعود، زيف وانحصار المشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات، تراكم الفقر وعدم العدالة، الالتفاف العاطفي، التواكل على الأبوين والأخوة، عدم استقرار السياسي، وعدم القدرة على التعبير عن الرأي ".[1]

[1]- **سمية بن عمارة ، منصور بن زاهي ، الشعور بالاغتراب اجتماعي لدى الشباب مستخدمي الانترنت ، جامعة القاصدي مرباح ،ورقلة، كلية العلوم ، الجزائر ،2013 ، العدد10، ص54**

3-النفي من الوطن الام يسبب من الاسباب كتحدث في الطابوهات أوكسر حاجز ما داخل الوطن فلا بد من الانسان المطارد ان يرتحل ويتغرب عن اهله ووطنه وهذا خير له ولعائلته وبهذا ينتقل من النفي الى التشريد ويحس نفسه منبوذا أومرفوضا.

4-يلجأ الإنسان إلى الهجرة خارج الوطن والتغرب سعيا وراء الرزق وبحث عن عمل مناسب.

5-عدم تقدير المهارات وكفاءات الاشخاص وذوي العقول السامية ولهذا يبحث الاشخاص عن بلاد اخرى تقيم كفاءاتهم العلمية.

6-تعرض بلد الأم الى الازمات الاقتصادية والبطالة لهذا يلجأ المرء إلى الغربة والهجرة.

7-إنعدام خصائص التمييز التمييزية للشخصية الوطنية (حقوق كمواطن) التي تعطي الانسان حياة يملاها التوازن والتكامل والعافية في معيشته أي تفشي منطق العنف بأشكاله المتعددة من تعصب وظلم وحرمان والخيارات الوطنية المفقودة التي في فقدانها سرعان ما تجنح بالإنسان نحو الغربة والهجرة.

8-شعور الإنسان بخيبة الأمل والفشل والعجز التام وتحقير الذات وتأثره باضطرابات التنشئة الاجتماعية والثقافة السياسية الفاشلة السائدة منها تشكلت عنده عقدا النفسية مصحوبة بأحاسيس الاغتراب والغربة.

V. أبعاد الاغتراب ومظاهره:

إن ظاهرة الاغتراب متعددة الأبعاد والمظاهر وتزداد حدتها كل ما توفرت لها الأجواء المناسبة والدوافع المناسبة، باعتبارها تجربة نفسية شعورية تتصف بعدم رضا الفرد عن الأوضاع العامة، ورفض الإتجاهات والقيم والأسس السائدة والتي تترجم سلوكيات مثل الإنسحاب من المجتمع والوضوح له ظاهريا أو التمرد عليه.

ونعرض فيما يلي أبرز مظاهر الاغتراب وأبعاده وهي كالتالي:

1-العجز: (Powerlessness):

« هناك تعريف إجرائي لبعد العجز وخيرة افتقاد القدرة كنمط اغترابي، بأنه الحالة التي يصبح فيها الأفراد في ظل سياق مجتمعي محدد، يتوقعون مقدما أنهم لا يستطيعون أولا يملكون تقرير أوتحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج أومخرجات من خلال سلوكهم أوفعاليتهم الخاصة، أي بمعنى أنهم يستشعرون افتقاد القدرة على التحكم في مخرجات هذا السياق أوتوجيهها، الأمر الذي يولد خبرة الشعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في متغيرات هذا السياق والقوى المسيطرة عليه [1].»

كما « يقصد به شعور الفرد بالا حول ولا وقوة وأنه لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، وبالتالي لا يستطيع أن يقرر مصيره، فمصيره وإرادته ليس بيديه بل تحددهما عوامل وقوى خارجية عن إرادته الذاتية، كما لا يمكنه أن يؤثر في مجرى الأحداث أوصنع القرارات المصيرية الحياتية، وبالتالي يعجز عن تحقيق ذاته أويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع ».[2]

نستنتج من خلال هذا القول أن العجز هوأن يجد الإنسان نفسه مربط الأبدي وأنه لا يستطيع أن يتخذ قرارات مصيرية تخصه حياته الشخصية أومجتمعه كما أنه لا يستطيع أن يؤثر ويتأثر، ولا يمكنه التحكم في سلوكاته الصادرة منه، فمصيره ليس هومن يقرر فيه بل تتحكم فيه مصادر خارجية وبالتالي يصبح هذا الفرد أنه ضعيف عاجز مفيد يحسب بالاغتراب إتجاه نفسه وإتجاه مجتمعه.

[1]-أحمدالكناوي،الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر،دار الثقافة العربية للنشر،القاهرة،1989م،ط1، ص 21.

[2]-المرجع نفسه، ص 36.

« وجوهر العجز أوفقدان القدرة هوالتوقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه ومن إرادته ».[1]

نستشف من هذا القول أن جوهر العجز هوفقدان القدرة على التحكم وممارسة الضبط وفقدان السيطرة.

2-اللّامعنى: (Moaninglessness):

ويقصد به: « مدى إدراك الفرد وفهمه أواستيعابه لما يدور حوله من أحداث وأمور عامة أوخاصة، ويعرفه سليمان بأنه: « يعني توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحا لديه ما يجب عليه أن يؤمن له أويثق فيه، وكذلك عندما لا يستطيع تحديد معنى لما يقوم به وما يتخذه من قرارات ».[2]

« ويشير اللّامعنى (فقدان المعنى) إلى شعور الفرد بأنه لا يمتلك مرشدا أوموجها للسلوك والاعتقادات وذهب مزريخ في تحليله لمفهوم الاغتراب إلى القول بأن اللاّمعنى توجد حينما يكون الفرد غير واضح بالنسبة لما يجب أن يعتقد فيه، وحينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح في اتخاذ القرارات غير متوفرة ».[3]

الملاحظ من خلال هذا القول أن اللاّمعنىهوعكس المعنى أي (فقدان المعنى) هوأن يشعر الإنسان أنه لا يوجد له مرشد أوموجه ينصحه عندما يخطأ ويأيده عندما يكون على حق، واللّامعنى يحدث عندما يكون الإنسان غير واضح ولا يعرف ما سيفعل أوما هي القرارات التي سيتخذها.

---

[1]- أحمدالكناوي،الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر،دار الثقافة العربية للنشر،القاهرة،1989م،ط1، ص 36.

[2]-المرجع نفسه، ص 37.

[3]- عبد اللطيف محمد خليفة،دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2003م،ط1،ص37

3-اللامعيارية (الأنوميا) (Normlessness):

« أخذ "سيمان" اللامعيارية من وصف دوركايم الحالة الأنومي (Anomie) التي تصيب المجتمع، وهي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه ».[1]

إذ فالملاحظ من هذا القول بأن اللامعيارية هي تحطيم وانهيار القوانين والمعايير التي قد يسير عليها الفرد أوقد تنظم له سلوكه وتوجهه.

« وفي ذلك يشير "سيمان" إلى أن الأنومي يعني في الاستخدام الدارج، الموقف الذي تتحطم فيه المعايير الاجتماعية المنظمة لسلوك الفرد، حيث تصبح هذه المعايير غير مؤثرة ولا تؤدي وظيفتها لقواعد سلوك، فالأنومي لفظ اجتماعي يشير للحالة التي تعرف فيها القيم العامة في خضن الرغبات الخاصة الباحثة عن إشباع بأي وسيلة ».[2]

إذا نستنتج من هذا القول التي أشار إليه سيمون أن الأنومي هي بالاستخدام الدارج الموقف الذي تتحطم فيه المعايير التي يبني ويؤسس عليها المجتمع حيث تحدث عملية التأثير والتأثر كما أن لفظة الأنومي تعني هي النزاع أوالصراع الذي يحدث في نفسية الفرد حيث يصطدم بالقيم العامة للمجتمع والعادات والتقاليد التي تمنعه من إشباع الرغبات الخاصة.

4-العزلة الاجتماعية: (Socia Isolation)

« ويقصد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة، والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، كما قد يصاحب العزلة الشعور بالرفض

---

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة،دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2003م،ط1،ص37

[2]- المرجع نفسه، ص 38

الاجتماعي والإنعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع والإنفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعايير ».[1]

نستنتج من هذا التعريف أن العزلة الاجتماعية من أبعاد الاغتراب ويعني بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي وانعدام إحساسه بالأمن والأمان والطمأنينة، وعدن إحساسه بالعلاقات التي تربط المجتمع ببعضه البعض، والانعزال أوالعزلة الاجتماعية هي الرفض وعدم القبول الذي يعاني منه الفرد سواء يرفض من المجتمع بسبب سلوكاتهأوأنه هومن يختار الانعزال والابتعاد، كما أن الانعزال يتمثل في عدم توافق أهداف الفرد وقيم المجتمع فيحدث الإنعزال والإبتعاد والاغتراب.

« وغالبا ما يستخدم مصطلح العزلة عن الاغتراب في وصف وتحليل دور المفكر أوالمثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد (Detachment) وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع ».[2]

نلاحظ من خلال هذا القول أن العزلة الاجتماعية ربطت من طبقة المثقف والمفكر فيصبح لديه شعور بالاغتراب بحيث يتغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الفرد المثقف في المجتمع يحس نفسه دائما أن أفكاره وتطلعاته وآراءه لا تتوافق والمعايير الشعبية في المجتمع وكأن ذلك المثقف خلق ليكون له عالم منفرد، وبالتالي يبتعد وينعزل ليخلق له عالما يليق بمستوى أفكاره وآماله وآلامه وتطلعاته وآراءه.

« فالأشخاص الذين يحيون حياة العزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع ».[3]

---

[1]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص39.

[2]– المرجع نفسه، ص 39.

[3]– المرجع نفسه، ص 39.

إذا فالأفراد المنعزلون عن المجتمع والذين يعيشون الاغتراب هم لا يولون أهمية كبيرة للأهداف والمفاهيم التي يتغنى بها المجتمع.

5-الاغتراب عن الذات: (Self-estrangement)

« إستمد "سيمان" مفهوم الاغتراب عن الذات من كتاب أريك فروم المجتمع السليم حيث يعتبر ما كتبه "فروم" من أكثر البحوث دقة وعمقا عن الموضوع، فقد تناول موضوع الاغتراب من زاوية نموالشخصية وتطورها وأوضح أن الاغتراب هونمط من التجربة يرى الفرد نفسه فيها كما لوكانت غريبة عنه، فالفرد يصبح (إذ جاز التعبير) منفصلا عن نفسه ».[1]

إذا نستنتج من قول "سيمان" المستمد من كتاب "أريك فروم" المعنون "بالمجتمع السليم" عن مفهوم الاغتراب عن الذات، فيبين لنا أن الاغتراب عن الذات يدرس الاغتراب من الزاوية الشخصية ونموها وتطورها كما أنه نوع ونمط من التجربة التي يمر بها الفرد حيث يرى نفسه غريبة عنه وبالتالي يصبح الإنسان غريب عن حاله ونفسه.

« وقد تعامل "فروم" مع مفهوم الاغتراب من الوجهة السيكولوجية، مركزا على الفرد وليس المجتمع كسبب للاغتراب، وفي ضوء ذلك عرف الاغتراب بأنه: « نمط من الخيرة، من خلالها يرى الفرد نفسه كمغترب، فهويشعر أنه غريب عن نفسه ».[2]

إذ "ففروم" يعرف الاغتراب بأنه نمط من الخبرة وهوبالتالي يركز على الفرد وليس على المجتمع، فالخبرة هي التي تخلق الإحساس بالاغتراب كما أن المغترب لا يستطيع أن يتحكم في

---

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة،دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2003م،ط1،ص39

[2]- المرجع نفسه، ص 40.

أفعاله وتصرفاته، وبالتالي يشعر المرء أنه لا معنى لحياته ومنه يشعر بالاغتراب على مستوى الذات.

« وعلى الرغم من أن "فروم" لم يقر بفكرة الطبيعة الجوهرية للإنسان، فإن قوله بالذات الأصلية والذات الزائفة قد جعله ينزلق إلى معالجة اغتراب الذات على أنه حالة أقرب إلى الانفصال عن طبيعة مثالية للإنسان ».[1]

هنا يقر "فروم" أن الاغتراب أواغتراب الذات هو حالة أقرب إلى الانفصال عن الطبيعية المثالية للإنسان.

« الذات الأصلية هي التي يتسم صاحبها بأنه شخص مفكر قادر على الحب والإحساس والإبداع، أما الذات الزائفة فهي التي تفتقر إلى جميع هذه الصفات أوبعضها، ويبدو أن مفهوم الذات الأصلية يرادف عند "فروم" مفهوم الذات غير المغتربة التي حققت وجودها الإنساني المتكامل، أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصيل ».[2]

هنا يعرف لنا فروم الذات الأصلية والذات الزائفة فالأولى تتمثل في شعور الإنسان بالحب وأنه فرد مفكر مبدع فهوبالتالي يرادف مفهوم الذات الغير مغتربة التي فرضت نفسها في المجتمع ولديها تصالح مع نفسها كما أنها حققت وجودها الإنساني المتكامل أما الذات الزائفة فهي العكس تماما بحيث تفتقر إلى جميع هاته الصفات من حب وحنان وإحساس فهي بالتالي ترادف الذات الي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني.

[1]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 41.

[2]– المرجع نفسه، ص41.

VI. المفارقة المفاهيمية بين الغربة والاغتراب :

إن المفارقة استراتيجية فنية وهي وسيله الأديب الذي بواسطتها يبسط رؤيته للعالم وشهادته على الواقع، تتجلى المفارقة في مظاهر عديده ترتبط بالوجود الانسان والمجتمع ولكي يفهم القارئ البنى الدلالية واللغوية عليه أن يفهم المفارقة.

1-تعريف المفارقة :

أ-لغة :

ورد في لسان العرب "ان الفرق خلاف الجمع فرقه يفرقه فرقا، والتفرق والافتراق سواء ،ومنهم من يجعل التفرق للابدان والافتراق في الكلام، يقال فرقت بين الكلامي، فافترقا وفرقت بين الرجلين فتفرقا... وفرق شيء مفارقة وفراق بإبنه والإسم فرقه وتفارق القوم فارق بعضهم بعضا. ويقال : ارقفت فلانا على مفارق الحديث على وجوهه وفرق لي راي اي بدا وظهر".[1]

وبمعنى ان لفظه مفارقه تعني الضد والتنافر.

ب- اصطلاحا:

إذا أراد الباحث ان يتوسع ففي بحثه عن المفارقة فعليه بكتاب "ميويك" mueck حيث يشير بأن المصطلح لم يذكر في اللغة الانجليزية عام 1502 ميلادي ولم يهتم به بالشكل الرسمي ومكثف إلى غايه بداية القرن الثامن عشر و"حوري بنا أن نسجل أنه اثناء البحث عن المصطلح الأجنبي للمفارقة في النقد الغربي، نجد هناك تشابه بين مصطلحين paradox وIrony فقد ان المفارقة في نظر الشاعر والناقد الألماني أوجست شليجل هي شكل من النقيضة aform of paradox ."[2]

---

[1]- ابن منظور:لسان العرب،دار المعارف للنشر ،القاهرة،1993م،ط1،3426.

[2]- Muek,d-c,irony and ironic-methuen, london and newyork, 1982, p82.

2-المفارقةالمفاهيمية بين الغربة واغتراب:

يعرف الاغتراب على أنه حالة السيكوإجتماعية المسيطرة بشكل تام على الفرد أوهوالانسلاخ عن الذات أوعن الاخرين فإحساس الاغتراب يؤدي إلى الغربة "يرى الدكتور محمد راضي جعفر أن كلام من الغربة والاغتراب تعني التنحي والنوى والبعد وهولا يتصور أن صيغه افتعال تمنح المصطلح شموليه لا تتضمنها الغربة في سياق رده على أحد الباحثين ممن قال".[1]

بإمكانية هذه الشمولية مشيرا إلى أن تمت أمرا يكمل وراء اعتقاد الفصل بين المصطلحين وذلك هواقتصار الغربة في الكلام المتداول على البعد عن الوطن في الفلسفة والعلوم الاجتماعية في الغرب عبر اقترانه بوضع الانسان في المجتمع الصناعي الحديث " ويبدوان الدكتور محمد راضي جعفر قد وقع في لبس ذلك أنه لا فرق بين الغربة والاغتراب في المعنى مما هوواضح في لسان العرب ".[2]

فمصطلح الغربة يأخذ نفس معنى الاغتراب وخاصه فيما يتعلق وخاصه فيما يتعلق وخاصه وخاصة فيما يتعلق بل انفصال والبعد " الغربة هي النزوح والبعد عن الأوطان لأسباب سياسيه واقتصاديه أواجتماعيهأوثقافية ".[3]

يبدا الشعور بالغربة حيث يغادر الإنسان مسقط رأسه أوموطنهأوشعور بتبدد الشخصية، بمعنى أن يشعر المرء يراقب نفسه من الخارج جسمه أويشعر بأن الأشياء التي حوله ليست حقيقيه

[1]- محمود راضي جعفر، الاغتراب ف الشعر العراقي المعاصر،دار اتحاد كتاب العرب للنشر،دمشق،1999م،ط1،ص1

[2]- زينب عبد الأمير القيسي ،الاغتراب في أدب أبي حيان التوحيدي،الجامعة العراقية،كلية التربية للبنات،مجلة كلية الإمام الأعظم،بغداد،2012م،ط15،ج1،ص01

[3]- رافد سالم سرحان شهاب،أثر الغربة و الاغتراب في شعر الجواهري،دار مجلة التقني للنشر،بيروت،2013م،ط1،ص113

أوهي :" انتقال المرء من مكان اقامته بين أهله وجيرانه، وأصدقائه وذكرياته وموطنه إلى موطن أخر يعيد فيه ترتيب اوضاعه فيكون صداقات جديدة وجيران جدد وذكريات جديده وموطنا جديدا ".[1]

للغربة والاغتراب دلالات معجمية واصطلاحية وهي البعد والتغرب: " النوى والبعد والتنحي عن الناس، وتغريب والنفي عن البلدان والاوطان ولعل اقسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والاضطهاد والخوف أوالفقر والحرمان ومن أقوال علي بن أبي طالب "الفقر في الوطن غربة والغنى في الغربة وطن".[2]

أما الاغتراب "اي أن الغربة أوالاغتراب حاله نفسيه انفصاميه ،داخليه ناتجه عن أسباب خارجيه على الرغم من ان الحالة النفسية أصلا والأسباب فرع ".[3]

ومن هنا يمكننا القول أن الغربة والاغتراب يفقدان للإنسان حريته واستقلاله وذلك بتأثير لأسباب مختلفة ومتنوعة فظاهره الغربة والاغتراب هي حالة من الاضطراب واليأس والإحساس بالعجز وإنفصال الإنسان عن ذاته وعن مجتمعه فدلالة الغربة والاغتراب تنبثق من الاشتقاق اللغوي واحد وهوالبعد والمفارقة عن المكان وأصابه المرء بالاضطراب النفسي يجعل منه كائنا غريبا عن ذاته وروحه.

[1]– فاطمة جمشيدي،ملامح الاغتراب في شعر علي فودة،و ردود فعله عليه،مجلة ايضاءات نقدية فصلية محكمة،سوريا،العدد27،ص73

[2]– يحي الجبوري الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان، الأردن 2008،ط1، ص 17.

[3]–، حسين جمعة،الاغتراب في حياة المعري و أدبه،مجلة جامعة دمشق،سوريا،2011م،العدد1 +2،ص25

الفصل الثاني

التكنولوجيا وعلاقتها بالاغتراب النفسي

I. مفهوم العولمة:

تعد ظاهرة العولمة من أكثر الظواهر إثارة للجدل، والنقاش في السنوات الأخيرة سواءا على مستوى الندوات والمؤتمرات العلمية الأكاديمية أوعلى مستوى المحافل السياسية والاقتصادية والدولية، وإذا أردنا أن تعرف العولمة كمصطلح يمكن أن نلجأ إلى بعض الدارسين الأوروبيين مثال "رونالد روبرتسون" الذي يقول : « العولمة هي اتجاه تاريخي نحو إنكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات ».[1]

أما الفيلسوف الفرنسي "روجيه غارودي" فيركز على الجانب الإيديولوجي، فيقول: « إنها نظام يمكن للأقوياء من فرض الدكتاتوريات الإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق ».[2]

إذا نقول "رونالد ويبين" أن العولمة سبب في انكماش وتقليص مستوى حجم العالم وبالمقابل تزيد من شدة وعي وثقافة وفهم الأفراد والشعوب والمجتمعات.

أما الفيلسوف الفرنسي "روجيه": فقد شبه العولمة في قوله بأنها نظام كما أنه يبين بأنها غاية البقاء للأقوى القوى بأكل الضعيف بحجة الحرية وتبادل الثقافات ونظام السوق.

وهناك تعريفات تضفي على العولمة بعض الأهمية وتركز على الجانب الإيديولوجي منها: تعريف "محمد عابد الجباري" الذي يقول: « العولمة ليست مجرد آلية من آليات النظام الرأسمالي،

---

[1]– العولمة فلسفتها، تأثيراتها، عبد القادر تومي، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2009، ص 19.

[2]– روجيه غارودي،العمولة المزعومة،تر:محمد السبيطلي،دار الشوكاني للنشر و التوزيع،صنعاء،1998م،ط1،ص 17

بل هي أيضا وبالدرجة الأولى إيديولوجيات تعكس ايرادة الهيمنة على العالم، فالعولمة هي إذن ما بعد الاستعمار وهي تستهدف ثلاثة كيانات، الدولة والأمة والوطن ».[1]

نلاحظ من خلال هذا القول أن العولمة ليست نظام أوبرنامج فقط بل هي عبارة عن عالم بحد ذاته وهي تعني الاستقلال وما بعد الاستعمار وهي تنشط على مستوى الدولة، الأمة، والوطن.

« هي منظومة متكاملة من العلاقات النفعية المتبادلة، تقوم فلسفتها على الهيمنة والاختراق وهي امبريالية المنشأ والتوجه والأسلوب والوسيلة ».[2]

أما "صادق جلال العظم" يقول: « هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دولة المركز، بقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي المتبادل غير المتكافئ ».[3]

لقد مر العالم بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة لظروف وتطورات سريعة أثرت على كثير من مناحي الحياة، وانعكست في بعض جوانبها بآثار سلبية على الصحة النفسية للعديد من أفرادها، كما أن هذه العولمة التي انتشرت في جميع بقاع العالم والتي أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية ،يسبب عدة مشاكل نفسية وسوء التكيف ومنها ظاهرة الاغتراب النفسي فللعولمة علاقة كبيرة مع الاغتراب النفسي تظهر لنا جلية في معاناة وأزمة الإنسان المعاصر في عدم تأقلمه مع العالم الجديد يسير بسرعة هائلة، الوضع الذي أدى بالإنسان إلى عدم الشعور بالأمان والطمأنينة، بل والنظر إلى هذه الحياة وكأنها غريبة عنه أوالشعور بعدم الانتماء إليها مما يسبب للإنسان الشعور بالعزلة والابتعاد والإنطوائية.

---

[1]– ، محمد عابد الجباري،قضايا في الفكر المعاصر،العولمة،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1997م،ط1،ص148

[2]–. عبد القادر تومي،العولمة فلسفتها،مظاهرها،تأثيراتها،كنوز الحكمة للنشر،الجزائر،2014م،38

[3]– صادق جلال العظم، ماهية العولمة، مجلة الطريق، بيروت، تموز /أب 1997،العدد4، ص 34.

وقبل أن نتطرق إلى نتائج والآثار التي تخلقها العولمة في نفسية الفرد يجب أن نعرج عن هيمنة وسائل الإعلام على الفرد وكيف أن هذه العولمة والتكنولوجيا قد أصبحت بمثابة إدمان لكافة أفراد المجتمع.

II. هيمنة وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة على الفرد:

لم تكن الحرب العالمية وشبه العالمية والثورات يوما، ذات فائدة لأحد فقد أطاحت هذه الحروب والثورات التكنولوجية بالنظم الاجتماعية التي كانت تبدوراسخة، وجلب التقدم التقني وثورة الاتصالات بسرعة تحول غير معروفة حتى الآن في التعايش الاجتماعي، إذا لم تعد العادات والتقاليد وأعراف المجتمعات واتجاهاتهم التي تمنح غالبية البشر الشعور بالانتماء ومعنى الحياة.

« وقد وصفت هذه التحولات الكبيرة، والتغيرات العميقة بالثورات العملاقة، من قبل الباحثين والمفكرين حيث تقاسم هذا الوصف ثورة الميديا وثورة الاتصال وثورة الجينات والثرة الرقمية وثورة المعرفة... الأمر الذي أدى بالتفكير فيما ستكون عليه الحقبة الزمنية القادمة إلى ابتكار مصطلحات أهمها: ما بعد العولمة، وما بعد الحداثة، وما بعد المعرفة ».[1]

« فكما قال "توماس فريدمان" تنطوي على ذلك التكامل الصارم بين الأسواق، وفي الدول الأمم وفي التكنولوجيات لدرجة لم تحدث من قبل وبطريقة تمكن الأفراد والشركات والدول والأمم من التجول حول العالم والوصول إلى مسافات أبعد وبصورة أسرع وأعمق وأرخص من أي وقت مضى، وبطريقة من شأنها أيضا أن تفرز ردة قوية من جانب أولئك الذين تعرضوا لعولمة وحشية أوفاتهم ركب ذلك النظام الجديد والعولمة لها ثقافتها العالمية الخاصة التي تجعلها تميل إلى إيجاد التجانس الثقافي مع باقي المجتمعات، والعولمة لها تكنولوجيتها انها دنيا الكمبيوتر، إنها تصغير الأشياء إلى

[1] – علي أسعد وطفة، في الاغتراب الثقافي المعاصر، مجلة المعرفة، العدد، نيسان 571،2011، ص 20،21.

منمنمات وأرقام، إنها تكنولوجيا الاتصال والأقمار الصناعية وبصريات الألياف والانترنت التي تصغر العالم إلى أبعد مدى ».[1]

إذا فنقول أن العولمة تتجلى فيها البعد الاقتصادي أكثر من غيره وهومفتاحها لغزوالعالم غير العولمة عبر هيمنة الشركات على كل أسواق العالم واحتكارها للمجال الأكثر وفرة في الموارد الطبيعية والأكثر إستراتيجية في الموقع، وحسب "سمير أمين" فإنه ليس هناك أي جديد في العولمة إنها شكل من الاستعمار أوموجة ثالثة من التوسع الاستعماري لا تختلف في أهدافها عن الموجات السابقة، ذلك أن أهداف رأس المال المهيمن للشركات العملاقة متعددة الجنسيات تظل هي هي، أي السيطرة على الأسواق وغزوموارد الكوكب.

إذا فالعلاقة الجدلية بين العولمة وهوية المجتمعات المحلية جانب رحبا ملؤه السطوة والسيطرة والغطرسة، بل والاكتساح الجارف بلا هوادة، يقابله الاستلاب والاغتراب والتبعية على مختلف المستويات، لذلك تنطلق هذه الدراسة من حقيقة مفادها أن للعولمة بالغ السطوة على هويات الأمم والشعوب.

« وإذا كان النظام العالمي الجديد والسياسات التي تحكمت في تسيير دقة العالم والهيمنة عليه هي التي أفرزت ظاهرة "العولمة" فإن هذا النظام وآليته يسير من قبل دول ومؤسسات وهيئات دولية تتحكم في النظام الاقتصادي في العالم ».[2]

« وتستخدم قوى العولمة الإمبراطورية الإعلامية الضخمة التي يمكنها في فرض العولمة والسيطرة وتحقيق أهدافه، في (مجتمع الإعلام العالمي) يسير على خط مواز مع (العولمة)

---

[1]– توماس فيردمان، السيارة ليكساس وشجرة الزيتون، محاولة لفهم العولمة، ترجمة ليلى زيدان، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000،ط1، ص 55.

[2]– سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، رياض، 1419هـ،ط1، ص 19.

فالإعلام العالمي من مؤسسات احتكارية إعلامية وسلاسل إعلامية تملك كل الوسائل التقنية من أقمار صناعية وشبكات اتصالات حولت العالم إلى قرية صغيرة متواصلة، وشبكة الانترنت وثورة المعلومات التي أحدثتها حولت العالم إلى شيء صغير متصل ».[1]

إذا فالملاحظ من هذا القول أن العولمة بكل زواياها وبكل أشكالها وأنواعها صارت تهيمن وتسيطر بشكل كبير على العالم ككل بحيث جعلت من العالم بكل توسعاتها واختلاف شعوبه وقاداته قرية صغيرة متصلة ببعضها البعض، كما أنها زادت من تقارب العالم وضيق أفقه، مما أدى إلى زيادة الوعي بما يحدث من حركة تتجه نحوتكوين عالم بلا حدود، أين تقاربت المسافات الجغرافية.

III. أثر الهيمنة التكنولوجيا الحديثة على (العزلة):

إن العولمة أوالتكنولوجيا الحديثية وأما قلنا سابقا أنها استطاعت أن تسيطر وتفرض هيمنتها على العالم في وقت قصير جدا لما لها من مزايا وايجابيات أهمها أن جعلت العالم قرية صغيرة متصلة ببعضها البعض، كما أن استخدام التكنولوجيا أتاح لنا سهولة الوصول إلى المعلومات وخاصة مع وجود الإنترنت، كما نجد أن التكنولوجيا قد أحدثت ثورة كبرى في مجال الصحة والرعاية الصحية، التعرف على ثقافات جديدة ومكنت الفرد من التنقل والاطلاع على عادات العوالم الأخرى وهذا كله وهوفي مكانه كما ساهمت في الجانب الاقتصادي بحيث أنها تحسين كفاءة طرق تسليم وتوزيع البضائع والسلع، مما يزيد الأرباح، ساهمت أيضا في تقليل الوقت والجهد...إلخ.

إذا خلال هذا وغيره هومن ايجابيات العولمة والتكنولوجية الحديثة وهذا شيء لا يمكن لأي فرد في المجتمع أن يقول غير هذا ولكن كما للتكنولوجيا من ايجابيات نجد لها سلبيات مثال ذلك

---

[1]– سليمان بن صالح الخراشي، العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، رياض، 1419هـ،ط1، ص 33.

أن التكنولوجيا الحديثة ساهمت في تقليل التواصل بين الناس، حيث أصبح الإنسان يطمئن نصية، أوبمحادثة قصيرة من خلال أحد برامج التواصل الاجتماعي فانخفضت عدد الزيارات واللقاءات وأصبح الإنسان يعيش العزلة بين جدران هاتفه، ويصبح الفرد يعيش بعالم افتراضي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ويقضي يومه على شبكة الانترنت في غرفة قد ينسي تفاصيلها وبين عائلة يحس بالاغتراب النفسي اتجاههم إذا فالعزلة هي مصطلح قد نجده في كثير من الكتب أو المقالات وقد سمعه بشكل مكثف في حياتنا اليومية وهذا المفهوم هوسلاحذوحدين تماما مثل ما هي عليه التكنولوجيا الحديثة فالعزلة إذا أنت استعملتها لأغراض تخدم المجتمع كأن تنعزل من أجل كسب المال أوكسب رصيد ثقافي ومعرفي أوأن تنعزل على مجتمع لا يقدر جهودك أو أن تنعزل من أجل تجنب بعض المشاكل فهذا كله يصب في الجانب الايجابي، ولكن إذا انعزل الفرد بسبب أشياء تافهة كأن يدمن على وسائل التكنولوجيا ومواقع التواصل الاجتماعي فهذا طبعا شيء سلبي لأنه لا يعود بأي فائدة ولا نفع وتصبح العزلة مضرة أكثر منها نفعا.

« العزلة تصلح فقط لعلماء العقلاء وأنها من أصر الأشياء على الجهال، فمن أراد الاعتزال فعليه أن يتفقه الدين، فقد قال "إبراهيم النخعي": تفقه ثم إعتزل ».[1]

إذا فلقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي تملأ فراغ الإنسان واستعمالها بشكل كبير ومستمر قد يسبب الإدمان والإدمان بدوره يؤدي إلى العزلة، فعندما يجد الفرع أوالشخص المستعمل لأحداث التكنولوجيا الحديثة ضالته فيها فإنه يستغني عن العالم الخارجي وبالتالي يصبح الفرد يعاني من العزلة والإنطوائية وقد يصل به الأمر إلى التوحد، مكتفيا بذلك بأصدقائه الافتراضيين عبر شاشة الهاتف أوالكمبيوتر.

[1]– الإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، العزلة، دار ابن الكثير للنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، 141هـ، 1990م،ط2، ص 6.

« يعد الإدمان من أهم ما قد يشكل خطرا على مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي وقد تزايدت في الآونة الأخيرة الدراسات والبحوث التي أكدت أن الاستخدام المبالغ فيه لهذه المواقع يسبب إدمانا نفسيا يشبه في قدر ما في طبيعته الإدمان الذي يسببه التعاطي للمخدرات أوالكحول».[1]

« كما أوضحت هذه الدراسات إصابة بعض المستخدمين بالارتباك وشعورهم بالعزلة والقلق، وذلك بسبب قطع وسائل الاتصال الحديثة كالهاتف المحمول واللاّبتوبأوالانترنت، كما يمكن أن نجد بعض السمات التي يمكن إن توفرت لدى بعض المستخدمين فإنهم يصبحون مدينين على مواقع التواصل منها: وقت الفراغ الزائد وغير المستغل، ومن يعجزون عن إقامة علاقات اجتماعية حقيقية فيعوضونها بالافتراضية».[2]

« كما يرى أحد المتخصصين في علم النفس الاجتماعي أن الإفراط في استخدام الوسائل الإلكترونية الحديثة يسبب البعد عن المجتمع الحديث الحقيقي، ويميل إلى الرغبة العزلة عن المجتمع ».[3]

هنا نلاحظ أن هذا القول يبين لنا أحد أهم الأضرار التي قد يتسبب فيها الإدمان على وسائل التكنولوجيا الحديثة ألا وهي البعد عن المجتمع الحقيقي والتعلق بالعالم الافتراضي، كما تسبب الرغبة في الابتعاد والعزلة والانطوائية.

[1]– عثمان محمد الدليمي، مواقع التواصل الاجتماعي، " نظرة عن قرب "، دار عبداء للنشر والتوزيع1، عمان، 2019م،ط1، ص 216، 217.

[2]– المرجع نفسه، ص217.

[3]– أبا نوب ،عيسى،المراهقون و أعوام الصمت،دار الراوي للنشر و التوزيع،مصر،2018م،ط1،ص98

IV. علاقة العزلة بالاغتراب النفسي:

إن العزلة أوالإنطواءأوما يعرف بالعزلة النفسية من الأمراض النفسية الشائعة، ورغبة الشخص في التخلص من كل ما حوله من أشخاص باختيار الوحدة للتعامل مع كل المواقف التي تواجهه، وعزوف الشخص أوالفرد عن مقابلة الناس أوالتواصل معهم أوالاتصال بهم أوالاختلاط بمشاعرهم ومواقفهم هوبحد ذاته عزلة وإذا تطورت هذه العزلة أوإذا زادت عن حدها وإذا لم تستغل بطريقة عقلانية وفي جانبها الايجابي فإنها تصبح اغتراب نفسي أكثر منه اجتماعي.

« وانعزال الذات انعزالا مطلقا ورفضها الاتصال بأي شيء خارجها أو"بالأنت" عبارة عن انتحار، ووجود الأنا يصبح مهدد كلما أنكر الوجود الكامن فيها لذات أخرى أوللأنت ».[1]

« والشعور بالعزلة الحادة بميل إلى أن يجعل كل شيء آخر يبدوغريب معاديا، وحينئذ يشعر الإنسان أنه غريب متوحد لا وطن رحبا له، وهذا الشعور بالمنفى الروحي قد عبر عنه التصور الاورفي الأصل الروح تعبيرا ممتازا:

وظلت (أي الروح) في العالم نهبا للضياع وقتا طويلا نستهلكها أعجب الشهوات

ولم يكن في قدره أغاني الأرض الحزينة الشاكية أن تنسيها موسيقى السماوات».[2]

« وما دام الإنسان لم يشعر أنه في بيته، وفي عالم وجوده الحقيقي، وإذا ظل يرى الناس في ضوء هذا العالم الغريب، فإنه لا يستطيع إلا أن يتصور العالم والناس الذين يعيشون إلا أن يتصور

---

[1]– نيقولاي برديايف، العزلة والمجتمع، ترجمة فؤاد وكامل عبد العزيز، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1920،ط1، ص113.

[2]– نيقولاي برديايف،العزلة والمجتمع، تر:فؤاد وكامل عبد العزيز،مكتبة النهضة المصرية للنشر،القاهرة،1920،ط1، ص116.

العالم والناس الذين يعيشون فيه باعتبارها موضوعات تعكس عالم الضرورة الموضوعي، بيد أن العالم الموضوعي لا يمكن أن يكون وسيلة لتخليص الإنسان من سجن عزلته ».[1]

« والعزلة ظاهرة اجتماعية بمعنى من المعاني لأنها تفترض الشعور بالذات الأخرى، وإن أكثر أشكال العزلة تطرفا وكآبة هوما تعانيه وسط المجتمع في العالم الموضوعي واتصال "الأنا" ب "اللاأنا" ».[2]

إذا فنقول أن العزلة هي بحد ذاتها ظاهرة اجتماعية مثلها مثل الظواهر الاجتماعية الأخرى والعزلة قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية أمّا أكثر أشكال العزلة كآبة هواتصال الأنا ب اللاأنا.

« والعزلة المطلقة مرادفة للجحيم والعدم، ولا يمكن تصورها إلا عن طريق السلب والعزلة النسبية تقتضي العجز والسلب، ولكن لها أيضا جانب ايجابي حينما تعلوعلى ما هومألوف ونوعي وعلى العالم الموضوعي، فهي تمثل حينئذ حالة عليا من حالات "الأنا"، وحينما يحدث ذلك فإن درجة الانفصال الحادثة لا تكون عن الله والعالم الإلهي، وإنما عن "الروتين" الاجتماعي اليومي العالم الوضيع، وهذا الانفصال مرحلة من مراحل نموالإنسان الروحي ».[3]

---

[1]– نيقولاي برديايف،العزلة والمجتمع، تر:فؤاد و كامل عبد العزيز،مكتبة النهضة المصرية للنشر،القاهرة،1920،ط1، ص116

[2]–المرجع نفسه، ص 118.

[3]– المرجع نفسه، ص 117.

الفصل الثالث:

تجليات الغربة والاغتراب في رواية كريسماس في مكة

I. تجليات الغربة في رواية كريسماس في مكة:

الغربة ظاهرة اجتماعية بارزة طبعت الحياة الإنسانية وانعكست على الأدب بصفة عامة وعلى الرواية بصفة خاصة وكل الشخصيات في رواية كريسماس في مكة عانت الغربة المكانية والنفسية وفي هذا نتطرق إلى تجليات الغربة في الرواية.

1-تجليات الغربة المكانية في رواية كريسماس في مكة:

-في شخصية مريم بكر آغا:

« لا أذكر كثيرا عنهما، لا اذكر الكثير عن كل بغداد أصلا،لم أكن صغيرة لدرجة أن لا اذكر شيئا عنها عندما تركناها،كان عمري سبعة سنوات ،واعرف أن هناك من يذكر التفاصيل في عمر الثالثة أوالرابعة.. ، كل ما أذكره بوضوح من بغداد هوبيت كبير شاهق امامه حديقة كبيرة فيها أرجوحة بيضاء اللون تحت نخلة كبيرة ،وعلى اليسار ثمة مرآب للسيارات ،اذكر الأمر وأنا في المآرب اطل على الحديقة،وأمامي سيارة بيضاء اللون. سئلت أمي مرة عن هذا البيت، فقالت باقتضاب انه بيت جدي وأننا كنا نسكن في بيت ملحق به ،وأن السيارة هي سيارة أبي ».[1]

هنا تتذكر مريم منزلها وأباها.

« لا أذكر أي شيء بعدها ،عدا كون أنا وأمي في الطائرة ،تجربة الطائرة لأول مرة لا تنسى ،أمي كانت تبكي بحرقة ،وهذا أيضا لا ينسى طالما تصورت أن تلك الطائرة قد حطت بنا في مطار هيثرو،لكنيبدوأن ذاكرتي قد أسقطت فترة انتظار في أشهر في عمان،لا اذكر شيئا منها،لا شيء ».[2] هنا تجربة الطائرة الأولى بالنسبة لمريم وأمها وعدم تذكرها لوطنها بعد هذه الحادثة

---

[1]- أحمد خيري العمري ،كريسماس في مكة،دار عصير الكتب للنشر ،الإمارات،2019م،ط1،ص1

[2]- المصدر نفسه، ص 17.

« أنا بريطانية من أبوين عراقيين لا اذكر شيئا عن العراق ولا عرف غير بريطانيا ».[1] لم تكن ميادة تذكر شيئا عن موطنها أوعن موروثها العراقي .

« يومها بكيت بشدة وقلت لامي لأول مرة في حياتي:أريد أن ارجع إلى العراق مثلهن ».[2]

لقد كانت معاناة مريم في بلد غير بلدها، معاناة مؤلمة جدا فقد كانت عراقية ومن بشرتها يعرف عليها أنها مسلمة ومن أصول عربية وكانت تتعامل مع الأمر بشكل لا بأس به وأحيانا بشكل غير مريح إذ يبعث في نفسها نوع من خيبة وحزن العميق.

-في شخصية ميادة آل باقر:

« لم نتنازل بسهولة عن أحلامنا مع فرض الحصار، لكن أضيف لها حلم آخر، السفر..عمان..ماليزيا ..أوالامارت .سنوات فقط ونعود بعد أن يكون الحصار قد رفع ،لم تكن كندا أوالسويد قد أصبحتا قي قائمة أحلامنا بعد لم نكن نفكر بالهجرة ولم نكن نعرف ماذا سيحدث بعد الحصارذات مرة،سمعت لحن "زيديني عشقا "ينطلق من هاتف ما ،كنت أنظف المراحيض في محطة وقود باركلين التي عملت فيها لفترة في بداية قدومي لبريطانيا. ».[3]

كان كل شيء تعله ميادة يفكرها ويذكرها بوطنها الأم ، وخصوصا بعد مقتل زوجها عمر.

« لم أبق سوى بعضة أشهر في محطة الوقود تلك ، عملت بعدها في عدة مهن صغيرة أخرى ».[4]

تتذكر ميادة ما كانت تشتغله في بريطانيا بعد تغربها عن العراق.

---

[1]- أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 46.

[2]- المصدر نفسه، ص 176.

[3]- المصدر نفسه، ص 21.

[4]- المصدر نفسه، ص 22.

« إجراءات مطار جدة كانت سريعة عكس ما توقعت مريم ،كان هذا أول مطار لي في شرق الأوسط منذ أن غادرت عمان قبل اثنتي عشرة سنة وأنا أرملة للتوومعي ابنتي ذات سبع سنوات ، يومها أقسمت أن لا أخطوبقدمي على آي مطار في هذه المنطقة بأسرها وها أنا احنث ..احنث اليوم بقسمي ».[1]

كان انتقال ميادة وسفرها من بغداد إلى بريطانيا خطوة جريئة جدا وكان لغربتها أسباب عديدة أهمها الأوضاع السياسية التي كانت تعاني منها البلاد، ولولا أخيها حيدر لما استطاعت تبدر أمرها.

-في شخصية سعد بكر آغا:

« قررت السفر لكن فكرت وضعي في الخارج سيكون أفضل لوأني حصلت على الماجستير،بعد الماجيستر فكرت أن دكتوراه ستكون أفضل،لا ادري أن كان هذا جزءا من تأجيل السفر أوتأجيل مواجهة الواقع ،كما كانت سوسن تقول لكن زاد الأمر تعقيدا بعد سقوط بغداد في 2003،سافر مشرفي على رسالة الدكتوراه ثم اغتيل المشرف البديل ،كان الكل يختفي يهرب أويقتل ، كما لوكنت أحمل لغتين معيوعندما حدث ما حدث لعمر، كنت قد أنهيت رسالة الدكتوراه قبلها بأشهر وأعددت أوراقي وأوراق سوسن للسفر ».[2] كانت غربة سعد لأسباب متعلقة بالبلاد وظروف السائدة فيها.

[1]- أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 124.

[2]- المصدرنفسه، ص 28.

« حاولت إفهامه إني أوصل ارث ابنة أخي القادمة من لندن والتي سأراها في مكة بعد غياب سنوات طويلة ».[1]

كانت الغربة المكانية بالنسبة لسعد هي البعد الفاصل بينه وبين "أرث" الفتاة البكر في العائلة وهي ابنة عمر "مريم" ويريد لقاءها بالشدة.

-في شخصية حيدر:

« استطعت أن استحصل لميادة على تأشيرة لدخول بريطانيا في وقت قياسي عندما خرجت من بغداد إلى عمان ،كان من المتوقع أن يكون ذهابها مع السويد مع أمي أسهل لكن تأشيرة بريطانيا كانت أسرع ، جلبتها إلى بريطانيا».[2]

وجد حيدر نفسه ضائعا وسط محيط لا يعرفه برغم اختلاطه شديد به خصوصا بعد خطوة التي أقدم عليها وهي زواجه من إميلي وغربته أثرت فيه كثيرا خصوصا عدم حضور جنازة أبيه ورايته.

2-تجليات الغربة النفسية في رواية كريسماس في مكة:

-في شخصية مريم بكر آغا:

« والآن عليّ ان التقي بهذا الجزء الذي حذف من حياتي ،وفي رحلة يفترض أنها للدراسة.» .[3] كانت تشعر مريم بارتباك نفسي خصوصا بعد أن أخبرتها أمها بلقاء مع عمها وجدها.« احتضنت جدّي وهويجلس بهيبة على كرسي متحرك،وغمرتني الرائحة المميزة التي كانت

[1]- أحمد خيري العمري ،كريسماس في مكة، ص 82.

[2]- المصدر نفسه، ص 30.

[3]- المصدرنفسه، ص 17.

في الغربة مجددا ، وغمرني مرة أخرى الشعور باني اعرف هذه الرائحة من قبل ».[1] أن احتضان مريم لجدها شعور مفعم بالحنين خصوصا بعد تذكرها لرائحة الزكية التي كانت تداعب روحها.

« لأن لدي جوعا في داخلي لأبي الذي لا اذكره تقريبا أوللقرب من الجد الذي لم اعرفه من الجانبين ».[2] تعاني مريم من اضطراب عاطفي وفراغ روحي خصوصا في لحظة لقائها بجدها.

« لا أملك كلمات لأصف هذه الرحلة كان من المفترض ان اعمل فيها على مشروع تخرجي ولكن ما حدث فيها كان أهم بكثير من أي شهادة جامعية لقد تعرفت فيها أكثر على أهلي ومريم بعد الكريسماس في مكة ».[3]

تقوم مريم في هذه المقاطع بتذكر العديد من الذكريات وتمر بالعديد من تفاعلات التي أشعرتها مختلفة ومغتربة عن عائلتها فالأشياء التي عاشتها من قبل لم تكن تذكر الكثير منها بعضها أجزاء من الواقع وبعضها خيال منسي، ولحظة شعورها بأنها سوف تتغرب في لحظة ركوبها للطائرة وابتعادها من وطنها إلى وطن آخر.

-في شخصية ميادة آل باقر:

« تبدوا اليوم مريم كما لوأنها تشبهني قليلا في ثقتي بنفسي لكن هذا مجرد تشابه ظاهري جدا ».[4] تري ميادة نفسها في ابنتها مريم وتستذكر ذكريات كيف كانت طفلة صغيرة.

« بعد لحظات وجدت هذا الشخص يقف أمامي وهويبتسم، أنه سعد، لم اعرفه. ».[5] هنا لحظة لقاء ميادة بسعد، لقاءا حافلا بأحاسيس مختلطة بالشوق والخوف.

---

[1]- أحمد خيري ،كريسماس في مكة، ص 17.

[2]- المصدرنفسه، ص 296.

[3]- المصدرنفسه، ص 332.

[4]- المصدر نفسه، ص 20.

[5]- المصدر نفسه، ص 125.

« عندما وضعت التلفاز على الشرقية كان هناك ذاك النشيد الديني الذي تعونا ان نسمعه بعد ان يدق مدفع الإفطار في تلفزيون منذ إن كنا صغارا. ».[1]

لم تستطع ميادة عبور ذلك الحزن العميق بفقدان زوجها عمر وكانت تعيش هذا الشعور كل يوم خصوصا بعد رؤية ابنتها تتربى بدون أب.

-في شخصية سعد بكر أغا:

« أن تضع شخصا تحبه في حفرة تحت الأرض أول مرة وضعت عمر ،ثان مرة وضعت أمي واليوم أضع أبي لاشيء يجعلنا نتعود على الأمر لاشئ يجعل مشاعرنا تتبلد،تتاقلم مع حفرة تضع فيها حبيبا لك ».[2]حدث هذا بعد موت أب سعد لم يعد يفهم الشعور الذي أحس به آنذاك كان جد مكتئب.

« نظر سعد إلى الأرض وقال : كلشئ يتغير يا ميادة بغدادا تتغير، ناسها يتغيرون ،لهجة الناس فيها تتغير».[3]

كان يعاني سعد من ضيق في قلبه خصوصا من جهة مريم وأمها فكان اشتياقه لمريم كبير وكان يحس بأنّه غريب عنهم خصوصا بعد فراق دام عشر سنوات ثم ظهروا فجأة وأرادوا اللقاء به في مكة فكان خوفه على مريم أن تجد نفسها غريبة عنهم، حتى سعد تغير كثيرا في تصرفاته وهذا ما لم تكن تعرفه ميادة عنه لقاءها لهذا كانت مرتبكة.

-في شخصية حيدر آل باقر:

« لثلاثين عاما لم اشعر بالغربة التي اشعر بها اليوم لثلاثين عاما في بريطانيا لم اشك للحظة في صحة خياراتي إلا الآن اشك في كل ما مضى ، في كل شئ فعلته في هذه العقود

---

[1]- أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 167.

[2]- المصدر نفسه، ص 318.

[3]- المصدر نفسه، ص 325.

الثلاثة، لثلاثين عاما كنت اصنع مني شخصا والآن انظر إليه ولا اعرفه، قالت أميلي أنني أمر بأزمة منتصف العمر. ».[1] يمر حيدر باكتئاب حاد وتوتر في مشاعره وأحاسيسه وبغربة نفسية أثقلت عاتقه وأنهكت روحه.

« فكرت:بدلا من أن أكون أنا بجانب أبي وهويموت،وقف عمر بجانبه، وها أنا أقف أمام والد عمر وهويموت، سبحان الله ،من كان يتصور أن يحدث هذا؟ ».[2]

كانت هذه الشخصية في قلق مستمر ودائم طيلة أحداث الرواية لما عانته من مشاكل داخل الأسرة وخصوصا مع ابنته سارة التي أنجبت فيما بعد ابنا غير شرعيا ولكن في نهاية المطاف يجد ذاته الضائعة أمامه خصوصا بعد قيامه بالحج.

II. تجليات الاغتراب في رواية كريسماس في مكة.

الاغتراب هو ظاهرة نفسية اجتماعية اقتصادية ودينية انعكست على البشرية عامة وعلى حياة الإنسان خاصة والمتصفح للأدب ككل والروايات يجد أنها قد وظفت بشكل كبير وما بين أيدينا أنموذج وظفت فيه ظاهرة الاغتراب ألا وهي رواية كريسماس في مكة ومن خلال هذا الجزء التطبيقي تحاول أن نستخرج أهم مظاهر أوتجليات الاغتراب التي مرت بها كل شخصية في الرواية، نستهل أولا بمريم:

مريم بكر آغا:

« صار عليا أن ألتقي بجدي وعمي اللذين لا أذكرهما،و أن أتحمل مجاملات لا طعم لها،وربما قبلات وأحضان على الطريقة العراقية ».[3]

---

[1]– **أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص15.**

[2]– **المصدرنفسه، ص 16.**

[3]– **المصدرنفسه، ص 15.**

نلاحظ هنا أن مريم تعاني الاغتراب الاجتماعي إضافة إلى الاغتراب النفسي، فهي لم تكن لها عائلة تؤنسها في وحدتها،فالمجتمع حسب رأي "ماكيفر وبيج"هو عبارة عن:«نسق مكون من العرف المنوع والإجراءات المرسومة ومن السلطة المعروفة المتبادلة ومن شتى أوجه ضبط السلوك الإنساني والحريات»[1].

«لا أذكر الكثير عنهما، لا أذكر الكثير عن كل بغداد أصلا. لم أكن صغيرة لدرجة أن لا أذكر شيئا عندما تركناها... حتى أبي لا أذكره بالتفصيل، أذكره بشكل غائم ، وربما لا أذكره فعلا، ... كل ما أذكره بوضوح من بغداد هو بيت كبير شاهق أمامه حديقة كبيرة فيها أرجوحة بيضاء اللون تحت نخلة كبيرة ».[2]

إغتراب مريم في هذه الاقتباسات يتمركز حول مستوى الذاكرة فمريم لا تذكر عن عائلة أبيها شيئا حتى والدها لا تتذكره فهو توفي وهي صغيرة ولكن تحاول مريم ان تنشيط ذاكرتها من خلال تذكرها لبعض الاماكن.

« لم أحاول البحث عن جدي، انتبهت أني لم أكن أعرف إسمه أصلا .

بالنسبة لي ،أي شئ لا وجود له على النت ،أو لا أثر له أولاين ،ليس موجودا أصلا ربما يكون خرافة أو وهما ».[3]

هنا نلاحظ أن مريم حاولت أن تبحث عن بعض المعلومات عن عمها وجدها وذلك باستعمال وسائل التواصل الاجتماعية الحديثة "الفيس"هذا بالنسبة لعمها أما جدها فلم تبحث عنه لأنها كانت تعتبره مجرد خرافة.

---

[1]-حسن عبد الحميد احمد رشوان، الادب والمجمع، دراسة في علم اجتماع الادب، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، ط1، 2004،م/2005م، ص 283.

[2]- أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 16.

[3]- المصدرنفسه، ص17.

« كانت فكرة من خارج صندوق احباطي وشعوري بالاقصاء في أول يوم ذهبت فيه للجامعة،أنا الوحيدة في الفصل حنطية البشرة سوداء الشعر واسمي يصرخ بأني أجنبية ».[1]

هنا نلاحظ أن مريم كانت تشعر بالإحباط والاقصاء فنقول أنه اغتراب نفسي مس مشاعرها وأحاسيسها ، كما ان مريم كانت دائما تعتبر أجنبية عنهم وذلك لما تحمله من جينات عربية ،رغم كل محاولاتها ان تصبح واحدة منهم،يقول مصطفى حجازي :« حيث يشعر بأنه أقل من الآخرين،وأنه دائما دون مستوى الوضعيات الاجتماعية ،وهو إحساس داخلي في معظم الأحيان أكثر منه موضوعي فعلي» [2].

«أمي تقول لي دوما إنه من غير الطبيعي أن يكون الصديق الأقرب صديقا في العالم الإفتراضي.العلاقات الحقيقية ليست في العالم الافتراضي .هكذا كانت تقول ».[3]

أم مريم لا تدعم الصداقة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، في حين أن أقرب صديقة لمريم كانت من العالم الافتراضي"نزرين".

« في عالمنا أصبح الافتراضي حقيقيا كما العالم المادي بالضبط .شئ لن تستطيع أمي أن تقبله... مهما كان عالمي مختلفا، فلا أزال أحتاج إلى أمي.

قد أبدو مستقلة وقوية لكن في أعماقي ثمة فتاة مذعورة تريد أن تنام مع أمها ».[4]

نلتمس أن مريم رغم تعلقها بالعالم الآخر أي العالم الافتراضي وما يحتويه من وسائل التكنولوجية المتنوعة، إلا أنها كانت دائما تشعر بالحنين إتجاه والدتها وتحن إلى النوم في حضن أمها.

---

[1]– احمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 45.

[2]-مصطف الحجازي،سيكولوجية الانسان المقهور ،المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء ،المغرب ،2005م ،ط 9 ، ص238

[3]– المصدرنفسه، ص 46.

[4]– المصدر نفسه، ص 47.

« كنت أؤمن بوجود "روح " بلا جدال، لكن لم أكن روحانية .أعتقد أن الفرق يكمن في أن الروحانية تتطلب تواصلا مع هذه الروح ... لكن التواصل مع الروح لم يكن مما نعرفه.

لم أكن ملحدة إطلاقا، ولم أكن أدرية أيضا ،ولكني لم أكن "مؤمنة" ...كنت أؤمن بالوجود "شئ ما"قوة كبيرة في هذا الكون ،الأديان وسائل تواصل مع هذه القوة... أمي لم تكن متدينة كثيرا، لكنها كانت مؤمنة بمعنى عام مؤمنة بتفاصيل كثيرة عن الحساب والجنة والنار ».[1]

هنا في هذا الاقتباس نلاحظ أن مريم تعاني نوع من الاغتراب الديني، فهي لا تدري إلى أي طائفة أو مذهب تنتمي أو بتعبير آخر نقول أن مريم لم تجد الدين الذي يرضي رغباتها وطموحاتها، عكس والدتها التي لم تكن متدينة بمعنى الكلمة ولكن كانت مؤمنة، يقول حسن الكحلاني في هذا الصدد «ذلك الوجود الذي نكتشف فيه ألوانا معينة من السلوك ، تكشف لنا بدورها عن تركيب أنطولوجي يختلف عن تركيب الوجودية ذاته»[2]:

« حاولت ان أقرأ في البوذية، وأن أجرب "اليوجا" لكن لم أجد الكثير أيضا.ربما تركيبتي النفسية و العقلية لا تعرف الوصول إلى هذه المناطق ».[3]

« أمي وجيلها يتظاهرون بالشكوى من إدماننا على الأنترنت رغم أنهم مدمنون مثلنا.بعد قليل ستبدأ في مراجعة رسائل الواتس آب وقراءة حتى القديمة منها ».[4]

مهما حاول الناس أن يقفوا ضد هذه الموجة التكنولوجية التي غزت العالم وتملكت الكبير قبل الصغير، ومهما حاولوا إخفاء إستعمالهم لهذه الوسائل ومحاولة النصح والارشاد حول ضرورة

---

[1]– أحمد خيري العمري ،كريسماس في مكة، ص 131.

[2] -ريجيس جوليفي،المذاهب الوجودية،تر:فؤاد كامل،دار الاداب،بيروت،لبنان،1988م،ط1،ص160.

[3]– أحمد خيري العمري،كريسماس في مكة، ص 135.

[4]– المصدرنفسه، ص 108.

التخفيف من إستعمال هذه الوسائل، إلا أنهم يجدون أنفسهم يستعملونها وبشدة، وأنهم مدمنون مثل الشباب أو أكثر، وهذا ما حاولت مريم تبيانه في هذه المقطع.

« لكن أليس هذا ما يحدث مع الجميع بطريقة أو بأخرى ؟ ألا نهرب من مشاكلنا ونعوضها في أماكن أخرى؟

قالت نزرين "صحيح ،لكنهن لا يهربن منها ، بل يحملنها على رؤوسهن "».[1]

مريم تحاول أن تقول بأن الهروب والابتعاد لا يحل المشاكل، إذا فهذا المقطع جاء بعد نقاش دار بين مريم ونزرين حول الحجاب وكيف أن المرأة المحجة تعاني القمع وكأن الحجاب عبارة عن مشكلة فنحاول أن نداري أنفسنا من مشاكل الحياة بمشكلة أخرى.

« كما لو أني تذكرت من طفولتي، شيء غريب جدا، لكن غمرني شعور الديجافو، عندما يرى شيئا وتشعر أنك رأيته من قبل، لا تعرف كيف ولا تذكر أين.شئ ما في حضنه لي قال لي إني جربته قبل ذلك.».[2]

ماصورته لنا مريم في هذا المقطع هو شيء له علاقة بالجانب النفسي وهو أن ترى شيئا أو تعيش موقفا تحس أنه مر عليك من قبل، فمريم عند إحتضانها لعمها أحست بهذا الاحساس، وكأن هذا الشخص وهذا الحضن غير غريبان عنها، وتحاول في صراع مع ذاكرتها المتغربة أن تتذكر أين وكيف حدث هذا اللقاء من قبل،ولكن ما حدث له علاقة بحالة نفسية تسمى "ديجافو"يشعر الانسان لوهلة وهو في هذه الحالة يشعر وكأن شريط حياته قد مر عليه من قبل،« تمر على الإنسان لحضات ومواقف يشعربه و كأنه شاهد أو عايش هذه اللحظة سابقا،وهو شعور لحظي لا

[1]– أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 111.

[2]– المصدرنفسه، ص 131.

يتعدى الثواني ،لكنه يترك الحيرة والتعجب في نفس صاحبه،وهذه الحالة أو الشعور المحير يطلق عليه إسم دجافو وهي كلمة فرنسية تعني شوهد سابق »[1].

« رجعت إلى المشهد الآخاذ أمامي، فكرت بأن هذا المشهد حصري فقط لأصحاب رؤوس الاموال.

قلت: أشعر كأنني رأسمالية

ردت أمي:استمتعي بالأمر مادمت تقدرين».[2]

هذا النوع من الاغتراب الاقتصادي الذي عاشته مريم أثناء هذه الرحلة وهذا الترف جعلها تشعر وكأنها رأسمالية، لأنها لم تعش هذا من قبل،وذكر مريم للطبقة الرأسمالية هنا لدلالة على أهمية هذه الطبقة لقول كارل ماركس في كتابه العمل المأجور ورأس المال:"لنوجز:بقدر ما ينمو الرأسمال المنتج ،بقدرما يتسع تقسيم العمل واستخدام الآلات "[3]:

« هذا التمزق بين ما عليا أن أدافع عنه لأنها جزء من هويتي، وبين ما أرفضه في داخلي لأني ليست مقتنعة به،هذا التمزق الذي ورثته من بيئتي التي ظلت تمدني بتناقضات طيلة الوقت التناقضات التي يبدو أني سأقضي حياتي وأنا أحاول التصالح معها أوالتنسيق فيما بينها ».[4]

مريم تعاني صراعا نفسيا أو كما عبرت هي تمزقا بينما تحس به في داخليها من أفكار وآراء ووجهات نظر، وبين ما عليها أن تعبر عليه لأنه يمثل هويتها.

---

[1]– viatcheslav wlassoff (june 8.2016) "the phenomenon of déjà vu" brainblogger ,retrieved 26-8-2018.edited

[2]– أحمد خيري العمري ،كريسماس في مكة، ص 135.

[3]- كارل ماركس، العمل المأجور ورأس المال، تر، الياس شاهين، دار التقدم موسكو للنشر والتوزيع، برلين، 1891، ط1، ص 74

[4]– أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 174.

« ثمة شعور غريب أنك كنت هنا سابقا، وأنا أعرف تماما أني لم أكن هنا في يوم من الأيام.... بالنسة لي كان عمي وجدي عالما مغالقا لا أعرف عنه شيئا غير تصوراتي المسبقة عنهما ».[1]

إذا فالاغتراب الذي كانت تحس به مريم كان اغترابا نفسيا بالدرجة الآولى قبل كل شيء، فهي الفتاة التي كبرت وترعرعت بعيدا عن وطنها ومسقط رأسها كما أنها كبرت دون حنان الأب ووجود عائلة متكاملة تحبها وترعاها، رغم أنها استطاعت أن تتدارك الأمر بأن تتعرف على عمها وجدها إلا أن هذا التدارك كان متؤخرا، فالتجربة التي مرت بها مريم في التعرف على عمها وجدها كانت تجربة ملأها الخوف والهيبة والشوق والحنين والأمل والألم...إلخ.

ميادة بكر آغا

« أورثهم غوغل كمية مخيفة من الثقة بالنفس والتصور الزائف عن سهولة العالم خارج الأنترنت، كمية من الثقة تكفي لأن ينتحر هذا الجيل كله لاحقا ».[2]

ميادة تصور لنا مدى الثقة المخيفة التي أورثتها وسائل الإعلام وخصوص غوغل لدى الشباب وتصورهم الزائف بسهولة العالم، ففي رأي ميادة أن هذه الثقة الزائدة قد تجعل هذا الجيل كله ينتحر لاحقا.

« لا أصدق أن كل عمري معه، مر بسرعة مثل ليلة ويوم.

كان الأمر يبدو شبه مستحيل بحسابات الواقع والمنطق، زواج سني بشيعية يمكن أن يحدث في حالتين:وجود سوابق في العائلة،أو قصة حب جارفة ».[3]

---

[1]– أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 245–246.

[2]– المصدرنفسه، ص 20.

[3]– المصدر نفسه، ص 78–79.

ميادة تتذكر السنوات التي مرت بسرعة برفقة عمر وكيف أن زواجهم كان شبه معجزة، سني بشيعية شيئ شبه مستحيل وذلك لما يمليه الواقع والمنطق.

« عمر وذكرياتي، وجروحي التي لم تندمل، وكل هلعي وجزعي وخوفي وآمالي ولهفتي عليه كلها حملتها على ظهري في المسعى ».[1]

ميادة تحس ببعض المشاعر والأحاسيس الرهيبة حول فقدانها لعمر، فهذه المشاعر من خوف وجزع وهلع التي حملتها ميادة أثرت عليها وأحدث عندها نوع من الاغتراب النفسي.

إذا فنفهم من كل هذه الاقتباسات أن ميادة شابة شيعية متزوجة من السني عمر، وقد تعرضت في حياتها لمواقف جعلتها تنظر للحياة من منظور مختلف متحدية جميع العوائق، وجدت نفسها تعاني ألم الفقدان الأول والدها وبعدها أخوها، وبعدها زوجها عمر الذي كسر ظهرها بعد أن أغتيل بطريقة بشعة مخلفا وراءه مريم التي حاولت ميادة أن تكون لها الأب والأم في نفس الوقت فميادة هي مثال للمرأة الحديدية التي حاربت من أجل أن تبقى صادمت رغم كل الظروف.

سعد:

« ترى أحيانا إنفعالات على وجهه، أحيانا يكون مطمئنا، أحيانا يكون حزينا جزعا، أحيانا يبكي أحيانا يبتسم، وأحيانا يضحك، وأحيانا كثيرة يتحدث بالفصحة مع أشخاص لا نميزهم ..ولكن في أغلب الأحيان لا شئ. لا شئ تماما.

دخل أبي في هذا العالم بالتدريج، بدأ ينسى بعض التفاصيل بعد حادث عمر.

بنى في عقله عالما مثاليا بديلا لعالمنا، واستقر وانعزل فيه.

[1] – **أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة ، ص 155.**

لا يعرف من أكون ويعاملني كما لو كنت غريبا عنه ،في أحيان كان يتحدث عن كونه قد سجن مظلوما وأنه لم يذنب بشئ ».[1]

كل هذه الاقتباسات يصور لنا فيها الكاتب عن طريق شخصية سعد كيف يحس المرضى بالزهايمر وكيف أن مشاعرهم في تغير دائم ومستمر، كما أن مرضى الزهايمر لا يتذكورن الماضي ولا الأحداث ولا الأشخاص من حولهم، وإذا تذكروا يتذكرون بصعوبة وهذا ما يجعل المقربين إليهم يستاؤون ويحسون بالحزن، كما هو مبين أعلاه كيف أن أب سعد لم يتعرف على ولده، إضافة إلى هذا فهؤلاء المرضى يبنون لأنفسهم عالما مثاليا وينعزلون عن عالمنا.

«قبل هذا كنت غير مكترث به من الأساس، وكنت أعيش حياة بعيدة عن الدين... كنت مكتفيا بنفسي كانت الآنا عندي أكبر من أن أحتمل فكرة الخضوع لأحد، حتى ولو كان الله.... لكن عندما حدث ما حدث، وجدتو نفسي بالتدريد أذهب إلى الله ملئ بالطعنات والكدمات ... ».[2]

نلاحظ من خلال هذه الاقتباسات أن سعد فيما مضى كان شابا متهورا لا يهتم إلا بنفسه، لديه نوع من تضخم الأنا كان لا يكثرت لأحد، ولكنه بعد ذلك تدارك الأمر وعاد إلى الله مكسورا مليئا بخيبات الأمل التي تلقاها من الدنيا، لكنه وبرجوعه للمولى عز وجل قام بعملية تطهير للنفس طامعا من الله سبحانه وتعالى في جبر خاطره، وهذا يشبه نوعا من ما حدث مع آدام عليه السلام حين عاد تائما إلى الله بنية أن يغفر له ويجبره جبرا جميلا.

« كيف يمكن لشخص يحمل الأنا التي قد أحملها أن يواجه أنه سيبقى طيلة حياته عاجزا».[3]

كمية الآنا والتعالي التي كانت لدى سعد لم تساعده في تقبل ذاته الجديدة بان يكون شخصا عاجزا، فاشلا، عقيما، فكيف لسعد أن يتقبل كل هذا العجز والانكسار.

---

[1]– أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 58.

[2]– المصدر نفسه، ص 81.

[3]– المصدر نفسه، ص 149.

« السعي بين أحلام عالية لم تتحقق وبين واقع مرير محيط، بين الآنا العالية المترفعة وحقيقتها الدنيا، بين كل ما كنت أريده، وكل ما انتهيت إليه ».[1]

هنا نلتمس أن سعد وجد نفسه أمام الأمر الواقع فمن أحلام عالية إلى واقع مرير، إذا فالآنا العالية عند سعد كانت دائما تجعله يفكر في بناء مستقل وعالم ميثالي، أن يكون مهندسا ناجحا لديه عائلة مثالية متكون من أولاد يحلون اسمه من بعده، لكن سرعان ما يصطدم بالواقع والحقيقة المرة والتي تتمثل في عقمه وفقدانه لأخيه وبعدها طلاقه وبعده وفاة والده كل هذه الأسباب جعلت من سعد شخصا آخر.

«لا شيء يجعلنا نتمرد على الأمر، لا شيء يجعل مشاعرنا تتبلد، تتأقلم مع حفرة وتضع فيها حبيبا لك.... لقد أصبحت وحيدا. وحديدا تماما ».[2]

هنا نلاحظ وكأن سعد يرثي أباه الذي توفي ففقدان أحد المقربين لك يشعرك بالوحدة والوحدة بحد ذاتها اغتراب.

«قلت بصراحة إني حزين أكثر على نفسي لم يعد لدى ما أفعله أصبحت وحيدا. وحيدا تماما، أبكي على نفسي لأني سأعود وحيدا إلى بغداد ».[3]

سعد يعاني من حزن شديد جراء الأحداث التي مر بها ولأنه وبعد كل هذا الشوط الذي مر به في حياته سيعود وحيدا إلى وطنه بغداد.

إذا فشخصية سعد هي شخصية غير مقدرة لذاته، فقد كان سعد شابا سني درس الهندسة المعمارية ولديه الدكتوراه في هذا المجال، ولكن رغم كل هذا كان يعتبر نفسه دائما ذلك الإنسان الفاشل في كل شيء، في عدم انجابه لمن يحمل اسمه من بعده، كان دائما يغار من عمر لأنه

[1]– أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 150.

[2]– المصدرنفسه، ص 318-319.

[3]– المصدرنفسه، ص 302.

يحقق كل ما لم يستطع سعد تحقيقه وباعتبار أن عمر كان المييز في العائلة، هذا كله سبب لسعد الدخول في أزمة نفسية، جعلته يتنمر من كل من هم حوله خصوصا زوجة أخيع ميادة، وذلك لكي يداري ويخفي النقص الذي ياعني منه في حياته.

حيدر:

« لم تفارقني كلماته وأن أتقلب في فراشي كلنا مصابون بالفصام ... عشت عشرين عام وأن في حالة "هدنة" مع فصامي...».[1]

حيدر هو أخو ميادة وصديق لعمر وكان يعمل كطبيب درس خارج العراق، لم يلتحق بموت أبيه هذا ما سبب له بعض المشاكل النفسية، تزوج من إملي وأنجبت صارة التي كانت بمثابة نقطة فشلع في الحياة، والتي كانت السبب في أن يدخل حيدر في أزمة نفسية حادة واكتئاب، كما أن حيدر يعاني من نوع من الانفصام على مستوى شخصيته فهو رجل شرقي عايش المجتمع الغربي فوجد نفسه بين أمرين هل يمثل شخصية الرجل العراقي الشرقي أم يتبع نهج التحرر الغربي الذي اكتشف حيدر بعد ذلك أنه غير متقبل لهذا التحرر، لأنه يتنافى وعاداته وتقاليده.

III. دراسة عنوان الرواية:

إن الرواية سرد نثري يتضمن شخصيات واقعية أوخيالية تعتمد على الحوار بين الشخصيات وهكذا جاءت رواية كريسماس في مكة للكاتب أحمد خيري العمري، فقد كانت محور العلاقة بين الذات (الراوي)، والعالم (القراء) وبين الحلم والواقع وهي الخطاب الاجتماعي والسياسي والإيديولوجي بين الشخصيات، فقد تعددت موضوعاتها بتعدد أساليبها لتساهم في بناء أحداث الرواية ببنى جديدة لتضيء بهذا واقع الشخصيات وتعطينا حل مشاكل وقضايا التي تضمنتها وأحيانا لا.

[1] – **أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 281.**

ولكل رواية عنوان والعنوان إبداع فني وأداة لغوية يتواصل من خلاله القارئ مع النص والعنوان يمثل عتبة النص الروائي، فالعنوان من أهم عناصر النص الموازي، وذلك لكونه مدخلا أساسيا في الإبداع الأدبي بصفة عامة.

فقد عرف الناقد الفرنسي "نيوهوك"« وهومن الرواد المؤسسين لعلم العنونة والذي عرّف العنوان بقوله أنه: " مجموعة من العلامات اللسانية (كلمة، جملة، نص) التي يمكن أن تندرج على رأس النص لتحدده وتدل على محتواه العام وتعرف الجمهور بقراءته ».[1]

ف"نيوهوك" بهذا التعريف قد حدد مفهوم العنوان بأنّه علامة فنية لغوية يأتي في بداية الإبداع الأدبي لتبين موضوعه وتلفت انتباه القارئ وتغريه بالإطلاع عليه.

عندما نتمعن في عنوان روايتنا: "كريسماس في مكة".

نجد أنفسنا أمام عنوان مكون من كلمتين:

-مكة: هي بيت الله الحرام وهي مدينة مقدّسة لدى المسلمين بها المسجد الحرام والكعبة التي تعدّ قبلة المسلمين في صلاتهم تقع غرب المملكة العربية السعودية.

-كريسماس: أوعيد الميلاد يعتبر أهمّ الأعياد المسيحية على الإطلاق بعد عيد القيامة ويمثل عيد الميلاد يسوع المسيح وبذلك بدءا من ليلة 24 ديسمبر ونهار 25 ديسمبر.

-تتمثل دلالة العنوان لغويا أن عنوان جاء نكرة وجاءت مكة متناقضة دلاليا مع كريسماس وذلك من ناحية تلاقي الأديان كيف لكريسماس مناسبة مسيحية أن يحتفل به في مكة !؟

ففكرة العنوان تدل على الهجرة الوطن ولجوء إلى الغربة والاغتراب والتشرد والحنين والاشتياق ومعاناة والألم وهي حالة متناقضة غير مستقرة، حالة عدم الشعور بالأمان حالة البحث عن الذات والروح معا.

[1]-جيرار جنيت،عتبات،تح:عبد الحق بلعابد،دار العربية للعلوم الناشرون،الجزائر،1424ه-2008م،ط1 ص67.

وحين تربط العنوان مع نص الروائي نجد أنّ الشعور بالاغتراب والعزلة كان موجودا بكثرة سواء كان الوطن أوخارجه وذلك نتيجة عدّة أسباب وعوامل سياسية واجتماعية، وحتى النفسية كما حدث مع شخصية حيدر.

فباتت الغربة مفروضة عليهم بعد كل ما عاشوه من ويلات حرب في العراق وبعدما جعلتهم الحرب يفقدوه (هيثم عمر والكثير من الأصدقاء)، فقد كانت إجازة كريسماس فرصة لهم في اللقاء في مكان لم يخطر ببال أحد وهي مكة رغم اختلاف الأديان والمذاهب والعادات، كريسماس في مكة عنوان رمزي يحمل في طياته الكثير من دلالات البعدية والرمزية المتعلقة بالغربة والاغتراب والانفصال عن الوطن والحنين إليه، فهوعنوان عميق ومتناقض استخدمه الكاتب ليعبر عن فحوى وشخصيات روايته الذين يجمعون التناقض في أنفسهم بديانتهم الإسلامية الأصلية وعاداتهم الدينية المكتسبة من الغرب فهذا العنوان يتخطى فرادة النطق إلى المضمون الذي سعى من خلاله الكاتب أن يفتح أبوبا أمام التثاقف والتنصيص على سلم كوني تحقيقا لعالم شعاره الأخوة لا تفرقه باسم الدين عامّة والطوائف خاصّة وكما قالت مريم:

« إجازة الكريسماس في مكان يجمع بين الروحانية والمعاصر والأصالة والعولمة ».[1]

فإجازة كريسماس إجازة للقاء بعد فراق واشتياق بعد حنين والم بعد معاناة وتحر على الماضي وخروج من حفرة الحروب وفقدان الأحبة .

IV. الشخصيات في الرواية:

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية وتعدّ من الفنون السردية الشائعة في عصرنا، لما تمتاز به من جمالية فنية سردية سواء على مستوى الشكل أوالمضمون، هذا ما أكسبها مكانة

[1] – أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 107.

مرموقة، إذا أصبحت تعتبر الديوان الثاني بعد الشعر ولهذا راجع إلى كونها أداة للتعبير عن قضايا المجتمع وتطور طموحاته وهمومه وقد شهدت تطور ملحوظ مقارنة بالعقود الماضية.

الشخصية هي: « عنصر محوري في كل سرد، بحيث تعتبر أساس في الرواية لأن الرواية تقوم أساسها على الشخصيات تعتبر الشخصية عند أرسطوعنصرا ثانويا بالنسبة إلى بقية عناصر العمل التخيلي، وقد انتقل هذا التصور إلى المنظرين الكلاسيكيين الذين رأوا الشخصية مجرد اسم يقوم بالحدث فإنّ مفهوم الشخصية مرتبط بالشخص ».[1]

إنّ الشخصيات في هذه الرواية لا وجود لها من وحي الخيال: « كل الشخصيات المعاصرة في هذه الرواية من وحي الخيال ولا شيء يربطها بأشخاص أوعوائل على أرض الواقع، أي تشابه محتمل في الأسماء محض صدفة غير مقصودة ».

« رغم ذلك، فكل الأحداث هي مما حدث لأشخاص كثيرين ويمكن أن يحدث باستمرار ».[2]

يمكننا أن نميز ثلاثة أصناف من الشخصيات:

1-الشخصيات رئيسية:

وهي محور أحداث الرواية ،م وكل ما يحدث في الرواية يدور حولها وتتمثل في مريم بكر آغا، فتاة تدرس في كلية بريطانيا ومنها نقتبس من الرواية:

« أنا بريطانية من أبوين عراقيين ».[3] ف« مريم حنطية البشرة وشعرها أسود وعيناها خضراوان أنا الوحيدة في الفصل. ».[4]

---

[1]- زوزو نصيرة، سيمياء الشخصية في رواية "حارس الضلال"لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2006،العدد التاسع، ص 202.

[2]- أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 2.

[3]- المصدر نفسه، ص 46.

[4]- المصدر نفسه، ص45.

ذات أصول عراقية، حنطية البشرة، تعيش في بريطانيا مع أمها، تدرس هندسة معمارية في جامعة بريطانيا.

-عمر: زوج ميادّة وأن مريم، كان يعمل طبيب كان مذهبه سني مات مخطوفا ومعذبا.

-العم سعد: هوعمّ مريم وأخ عمر كان يدرس في قسم هندسة معمارية في جامعة بغداد كان يحاول الوصول إلى مريم منذ فترة لكن أم مريم ميادّة لم تسمح له بذلك.

-حيدر: أخ ميادّة وخال مريم يعمل طبيب تصغره ميادّة ب 9 سنوات كان يعاني من الاكتئاب وصديق عمر ولم يحضر موت .

وأمها ميادّة التي تحاول أن تجعلها تلتقي مع جدّها عبد الوهاب بكر آغا وعمّها سعد بعد فراق طويل الذي كان سببه الغربة والاغتراب في بلاد مختلفة عنهم لأن ظروف العراق لم تسمح لهم بالعيش فيها.

2-الشخصيات الثانوية:

وتمثلت في شخصيات أخرى ساهمت بشكل آخر في صياغة نسخ الرواية وهي حيدر وهوأخ ميادّة وخال مريم وكان مريم لهما في العمر كان يعاني من الاكتئاب ومن الفشل الأسري خاصة فيما يتعلق بسارة وارتباطها ب"لوك" الذي رفضه حيدر لأنّه أسود ورفض ارتباطها به خارج مؤسسة الزوجية وقد تحطم حيدر وخاب ظنه كثيرا خصوصا بعد إنجاب سارة لمولودها الغير شرعي "ريان".

-سعاد الدباخ: أم ميادّة كانت تلقي اللوم على ميادة وكانت تشبهها بعمتها التي كانت تكرهها، كانت سعاد مديرة مدرسة بنات.

-نزرين: صديقة المقربة لمريم تعرفت عليها عبر السكايب كانت أمها من كوسوفووالدها من أذربيجان وتدرس أيضا العمارة في جامعة دلفت في هولندا.

وهنا تقول مريم عن نزرين: « لم أرى نزرين في حياتي حقيقة تعرفت عليها في سوشل ميديا ثم صارت أقرب صديقاتي ».[1]

3-الشخصيات هامشية:

تكون ظهور هذه الشخصيات في الحكي ضئيل جدا، وتظهر فجأة وتختفي فهي تؤدي دورا جزئية فقط نذكر منها:

-سوسن: هي زوجة السابقة لسعد أوطليقته كان سبب الطلاق هوعقم سعد.

أميلي: هي زوجة حيدر كانت تقف معه في كل شيء كانت بينهما علاقة قبل أن يتزوجا، وخبأ هذا على أمّه.

-د. بينيت وسارة وهيثم وغيرهم من الشخصيات هامشية:

-عمر: زوج ميادّة وأن مريم، كان يعمل طبيب كان مذهبه سني مات مخطوفا ومعذبا.

-سعاد الدباخ: أمّ ميادّة، مديرة مدرسة بنات.

-رشا، رولا، إيناس: صديقات ميادّة.

-عبد الرحمن بكر آغا: جدّ مريم، مصاب بزهايمر كان عسكريا.

-سوسن: زوجة سعد أوزوجة سابقة لسعد تعيش في السويد.

-كمالي: خادمة الأثيوبية التي تعتي بالجدّ.

-هيثم: أخ حيدر مات في حرب بغدادية طائفية وقتل لأنه شيعي.

إميلي: زوجة حيدر.

-سارة: ابنة حيدر ارتبطت بإنسان وأنجبت منع طفلا دون زواج اسمه ريان.

-دكتور بينيت: طبيب حيدر، يظن أن حيدر يشعر بفترة الاكتئاب.

---

[1]- **أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 46.**

-نزرين: صديقة مفضلة لمريم تعرفت عليها عبر السكايب ثم صارت أقرب صديقاتها.

-كلوي: صديقة مريم.

-فاي: معالجة النفسية التي نصح بها طبيب بينيت لحيدر.

-حجي ثامر: مكلف على سفر مريم وميادّة وإجراءات الرحلة اتصل به سعد ليقوم بكل هذا.

-د.حكمت،/ د. مصطفى سليم/ د. عادل سليم: أطباء الذين شخصوا حالة أب حيدر وهوفي الغيبوبة قبل الموت.

-عمار: مساعد منظم حملة الحج.

-لوك: صديق سارة الذي حملت منه.

-بيرن، ديكلان، جوشوا: أصدقاء سارة.

-جمانة: زوجة هيثم.

-خالة فايقة: صديقة سعاد الدباخ.

وكل هذه الشخصيات مستمد من ذاكرة المؤلف وكل أحداث التي عاشتها الشخصيات من خيار المؤلف.

V. الرؤية السردية في الرواية:

إن لرؤية السردية دورا هاما في تحديد الوضعية التي يتخذها السارد أوالراوّي، وطبيعة علاقته بما يدور داخل أحداث العمل الروائي.

الرؤية هي تنتج عن موقف خاص للراوي، « فهي خلاصة الفهم الشامل للفعالية الإبداعية في نواحي وحي النسخ والبنية والدلالة والوظيفية ».[1]

[1]- **عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤي والدالة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990،ط1، ص 5.**

لقد مرّ مصطلح الرؤية السردية بمسميات عديدة ومتنوعة منها: وجهة النظر، الرؤية، البؤرة، المنظور، هذه تسميات توفرت وتعددت لكنها لا تخرج عن مفهوم الرؤية السردية للمادة السردية (الرواية) وارتباطها المباشر بالراوي، وفي هذا يقول تودوروف: « جهات الحكي في معناها الأصلي الدال على رؤية أوالنظر، هي الطريقة التي بواسطتها تدرك القصة عن طريق الراوي، وذلك في علاقته بالمتلقي واعتبر أنّ قراءة عمل حكائي لا تجعلنا مباشرة أمام إدراك إحداثه وقصته إلا من خلال الراوي ».[1]

« لقد قسّم تودوروف ثلاثة صيغ للرؤية السردية وهي:

1-الراوي< الشخصية (الرؤية من الخلف): حيث يعرف الراوي أكثر من الشخصيات.

2-الراوي = الشخصية (الرؤية مع): وهذه الرؤية سائدة نظيرة الأولى وتتعلق بكون الراوي يعرف ما تعرف الشخصيات.

3-الراوي >الشخصية (الرؤية من الخارج): معرفة الراوي هنا تتضاءل وهويعرف الشخصية كما يراها ويسمعها دون الوصول إلى عمقها الداخلي، وهذه الرؤية ضئيلة بالقياس إلى الأولى والثانية».[2]

ما يمكن استنتاجه من عمل تودوروف أن الرؤية السردية أحد المكونات الخطابية الأساسية في العمل الروائي في هذا الصدد سنقوم تحليلا موجزا للرؤية من الخلف، الرؤية من الخارج باعتبارهما الأكثر بروزا في روايتنا "كريسماس في مكة".

أ-الرؤية من الخلف:

[1]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2005،ط4، ص 293.

[2]- أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص 293.

إنّ النوع من الرؤية الأكثر الأنواع استخداما في السرد التقليدي خصوصا في روايات التاريخية إذ نجد السارد في هذه الحالة أكثر معرفة من الشخصية ونجده محيط بكل تفاصيل عالمه الروائي ويعرف ما يحدث مع شخصية وما يدور فيها،، فالسارد في هذه الرؤية عليم ومحيط بكل شيء، ويتواجد في كل مكان، ويوجد الأحداث كما يشاء.

اعتمدنا على بضع مقاطع من روايتنا "كريسماس في مكة" وذلك لإبراز الرؤية من الخلف من خلالها، وكيفية تتبع السارد لوقائع شخصياته والحالة التي اتخذها الراوي في سرده.

-« كتب سعد شيئا ثم انتظر انطلاق قبل أن يضحك بشدة ».[1]

-« وصلت رسالة على الواتس لسعد، فتحها وابتسم ».[2]

-« أتى حيدر، وهويحصل أكياسا اشتراها من السوق الحرة ».[3]

-« نظرت مريم لعمّتها وهي تزيح غطاء الرأس وتضعه في حقيبتها ».[4]

وفي هذا المقاطع ومقاطع أخرى في الرواية لغة السارد كانت بسيطة قاموسها خال من مراوغات خاصة في وصفه للشخصيات التي تحن إلى الوطن وتحكي عليه وهي في حالة غربة والاغتراب، ولجأ إلى الوصف كثيرا خاصة في حالة استرجاع الشخصيات بالذكريات فلغته واضحة ومفرداته بسيطة في متناول الجميع خصوصا في وصفه لملامح الحزن وملامح البعد وحزن حيدر لعدم حضوره في جنازة أبيه وحضوره لجنازة جدّ مريم وقد أكثر السارد في توظيفه للصفات والنعوت خصوصا في وصفه عاشت فيه الشخصيات على ذكرياتها المؤلمة منها وحزينة.

ب-الرؤية من الخارج:

---

[1]-احمد خيري العمري،كريسماس في مكة، 328.

[2]- المصدر نفسه، ص328.

[3]- المصدر نفسه، ص327.

[4]- المصدر نفسه، ص326.

وقد كانت مهيمنة في الرواية:

وفي هذه الحالة يكون السارد في إطار وصف ما يسمح ويرى ولا يتجاوز ذلك شخصيات فيكفي إلا بالوصف خارجي للشخصيات، وصف خال من وصف مشاعر السيكولوجية، ويكون في حالة لا علم له بخلفيات وطبيعة أفعالهم وأقوالهم إلا إذا صرحت الشخصيات بذلك مما يزرع في النص الروائي نوعا من الإبهام والغموض.

وفي هذا يقول عبد الله إبراهيم:

« يلاحظ أن الرؤية الخارجية ترتبط بصوت مجهول لا علاقة له بالشخصيات والحدث والزمان والمكان، أن هذا الصوت يقوم بتقديم مادة الرواية دون أن يعرف أحد موقعه أوعلاقته بعالم الرواية، وهذا الصوت ذوالرؤية الخارجية يقوم بتحديد مكان الحادث بدقة وكأنه يطل عليه من موقع عال فيفيض في وصف مكوناته ».[1]

ونستشهد في ذلك مقاطع من الرواية:

- « أمي لم تتذمر حتى الآن.

- أكاد أسالها: هل أنت بخير».[2]

-« أيام معدودات، تفصلني عن اللقاء بمريم.

كنت أشعر بتأنيب ضمير على كل الجبهات ».[3]

-« إجراءات مطار جدة كانت سريعة كما توقعت مريم ».[4]

---

[1]- عبد الله إبراهيم،المتخيل السردي،مقاربات نقدية في التناص و الرؤى و الدالة،المركز الثقافي العربي للنشر و التوزيع،بيروت،1990،ط1،ص126

[2]- أحمد خيري العمري، كريسماس في مكة، ص71.

[3]- المصدرنفسه، ص80.

[4]- المصدر نفسه، ص124.

في الرؤية السردية خارجية شخصيات كانت تتحدث وتعبر عمّا يدور معها من أحداث ومن مشاعر حوالغربة والاغتراب والحنين موظفة في ذلك كلمات ومفردات بلغة دارجة عرقية أي بلهجة العراقية وذلك راجع للشخصيات البسيطة التي استعان بها ومن هذه اللهجة نذكر من الرواية:

-« ما تبولون على أيد مجروح ».[1]

-« يقولون: بين المغرب والعشاء، يفعل الله ما يشاء ».[2]

ولهذا يهمشها في آخر صفحة لكي يشرحها « مثل يقال لمن يبخل في مساعدة المجروح ».[3]

فالرؤية تتجسد من خلال منظور الراوي سواء كان خارجيا أومن خلف فهي ركيزة بناء المادة القصصية.

[1]- احمد خيري العمري ،كريسماس في مكة، ص15.

[2]- المصدر نفسه، ص24.

[3]- المصدرنفسه، ص15.

خاتمة

لقد حاولنا في دراستنا تسليط الضوء على ثنائية الغربة والاغتراب في رواية كريسماس في مكة وتجلياتها من خلال دراسة الشخصيات وأثرها في الرواية وتفاعلها في مواقف عديدة ومن هذا قد تحصلنا على أهم الاستنتاجات وقد لخصناها فيما يلي:

أولا:إن مفهوم الغربة والاغتراب مفهوم متداخل بتداخل وتنوع الأسباب والعوامل الموثرة في الفرد والتي تجعل منه يشعر بهذا النوع من الغربة وإحساسه بالاغتراب ،والاغتراب يؤدي إلى الغربة مع مرور الوقت ويكون سببها التكنولوجيا الحديثة(العزلة).

ثانيا:تبقى وستبقى الرواية هي مسرح الواقعي للإنسان بشتى إيديولوجياتها وتعدد أساليبها الفنية والأدبية والتي بواسطتها يمكن للأديب أن ينقل إلينا فكرته وموقفه وهذا ما فعله أديبنا وكاتبنا احمد خيري العمري في روايته كريسماس في مكة حين عكس لنا القلق والاضطراب الذي يسود نفسية عراقيين والذي يبقى راسخا معهم حتى بعد خروجهم من العراق،إن رواية كريسماس في مكة تخللتها دلالات الغربة والاغتراب خصوصا في أحاسيس الشخصيات (شخصية حيدر)وفي الحوار الذي دار بينهم،وأيضا في ماهية وطبيعة المعاناة التي عانت منها كل شخصية لوحدها.

ثالثا:استطاعت الرواية بموضوع حكايتها إن تجسد بالفعل ثنائية الغربة والاغتراب وتكون الإجابة المباشرة لبحثنا هذا بمختلف تقسيماته وقد ساعدت لغة السارد في ذلك ،والتي كانت جدّ سهلة وواضحة وبسيطة خصوصا حين ادمج لغة دارجة عراقية والأمثلة العراقية أيضا في روايته وقد استعان بالواقع المعيشي الذي يعيشه كل عراقي الآن.

رابعا:ما لاحظناه في نهاية بحثنا هذا أن تكنولوجيا الحديثة تساهم كثيرا بشكل سريع وسئ في نفسية الفرد وشعوره بالاغتراب نفسي والاكتئاب ويؤدي هذا إلى العزلة، أي فرقت بين الأسرة برغم أنها تجعل من عالم قرية صغيرة إلا أنها أبعدت القلوب ،وتغربت الأرواح ،ونسيت الثقافات،واندثرت

العادات ،فلم يعد الصغير صغيرا ولم يعد الكبير يسمع إليه ،كل همهم التكنولوجيا وتطبيقاتها الكترونية.

خامسا:صحيح للغربة مخاطر متنوعة لكن لها ايجابيات وقد تجسدت في الرواية من خلال التوسع الإدراكي والمعرفي للشخصيات خصوصا من ناحية تعرفهم على ثقافات مختلفة واختلاطهم بأناس جديدة وبهذا توسعت علاقاتهم اجتماعية وثقافية ومع مرور الوقت هذه الشخصيات أصبحت لديها عائلات وصداقات بأناس من أعراق وديانات ولغات مختلفة.

ملاحق

ملحق رقم 1:

أحمد خيري العمري هوكاتب وروائي حديث وهوأيضا طبيب أسنان،أصله عراقي،ولد في بغداد،عرف بمنحاه التجديدي في الفكر الإسلامي وتأثير في فكر الشباب ،له أكثر من أربعة عشر كتابا وعشرات المقالات في الفكر والأدب .

ينتمي احمد خيري العمري إلى الأسرة العمرية في الموصل التي يعود نسبها الى الخليفة عمر بن الخطاب،والده مؤرخ وقاض عراقي معروف هوخيري العمري،تخرج طبيب أسنان من جامعة بغداد عام 1993م،لكنه عرف ككاتب إسلامي عبر مؤلفات جمعت بين منحى تجديدي في طرح الموضوعات والأسلوب الأدبي ،اختير عام 2010م ليكوّن الشخصية الفكرية التي تكرمها دار الفكر في تقليدها السنوي،والذي كرم فيه أعلام مثل عبد الوهاب المسيري وبذلك يكون العمري هواصغر هؤلاء المكرمين سنا حيث تم اختياره قبل إن يبلغ الأربعين.

أحمد خيري العمري معروف بغزارة الإنتاج وتنوعه،فقد اصدر في الفترة بين 2003-2008 ستة كتب لاقت رواجا لافتا وتنوعت بين البحث العلمي والرواية والرسالة الأدبية،بالإضافة إلى عشرات المقالات التي ينشرها في صحيفتي العرب القطرية والقدس العربي في لندن.

ملحق رقم 2/

-ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول عائلتان عراقيتان من بغداد يفترقان بطائفتيهما وتجمعهما المصاهرة، تبدأ الأحداث في مملكة المتحدة في بريطانيا تحديدا، حيث تعيش مريم الفتاة ذات عشرين عاما مع أمها ميادة وحيدتان ويساعدهما خالها حيدر الذي يقطن في ذات البلدة، أمّا عن أبيها عمر فقد وافاه أجله في أحداث بغداد طائفية عام 2005م، ولم يبقى لها في بغداد سوى عمّها سعد وجدّها اللذان لا تعرف عنهما شيئا ولا تدري عن وجودهما أصلا في ظل تلك الأجواء في

بريطانيا وفي معزل عن الدين، ولاسيما اختلاطات اجتماعية كان الدين معدم ولا يوجد اسمه عند مريم ولكنها مهما حاولت التخلص من معالمها الدينية والعربية فوجهها يوحي بالعروبة والإسلام فاحتارت أن تخوض تجربة فريدة من نوعها في إطار دراستها المعمارية كمشروع للتخرج يوضح في ايجازة العيد ميلاد "الكريسماس"، تصر ميادة على استدعاء سعد عمّ مريم وجدها للقيام بالعمرة معهما وذلك لتعرّف على مريم عن كتب وهي بدورها تقترب من أهل أبيها في الأيام القادمة.

فتمت موافقة العمّ بشوق ولهفة بلقاء ابنة أخيه، كما اصطحبت أخاها حيدر الذي بدوره رحب بفكرة قضاء إجازة "الكريسماس" في مكان ديني للهروب من مشاكله.

تجد مريم نفسها في مكة المكرمة، وتتعرف عن ذاتها حقيقية، قد تكون روحانية المكان، أوأصلها الإسلامي حنّ لجذوره في تلك البقعة أوأصلها العائلي بلقائها بأهل أبيها، بعد عشرين عاما، تلتقي العائلتان في مكة المكرمة لينظر كل من أفرادها في آخر ويتذكر كل واحد منهما بغداد أيام يتزوج السني من الشيعية دون مشاكل مثل عمر وميادة، ألاّ أنّ تأجج الفتنة حال دون ذلك في يومنا هذا كما حال بين عمر وميادة، يتذكرون أيام الصبا وما كانوا عليه وما صاروا إليه، أيام عزّ بغداد بذلك أيضا يخلخل الكتاب في روايته التاريخ الإسلامي أيّام انهيار عزّ بفداد على يد التيتار وقتل خليفة العباسي الأخير المستعصم بالله وهروب عمّه أحمد مستنصر بالله ابن الظاهر بالله ليرى شموخ بغداد الذي بناه أجداده قد انهدّ ولم تعد بغداد بعزها فيطمح لاسترجاع في ملك بني العباس إلا أنّ بغداد في كلا زمنين انهار شموخها ولم تعد في سابق عهدها.

تمّ لقاء مريم مع أهل أبيها أعاد ذلك اللقاء إحياء ذكريات كثيرة حال كل منهم اندثارها في بحر النسيان لكنها وبدون سابق إنذار أصبحت المتحكمة في أجواء الرحلة بأكمها فعرفت مريم ما حدث لموت أبيها السني الذي لا تذكر منه إلا حضنه وحنين الذي ظل ملازم لها والحزن على موته على يد عدائيين نّكلوا بجثته آنذاك لأسباب طائفية فجرّت الحياة كلوحة قائمة بألوان دموية

ولعله السبب الرئيسي الذي أفقد عقل والده (جدّ مريم) بعد صدمت موت زوجته أيضا كما عرّف كل من سعد المطلّق وجدها مريض بالزهايمر عليها فقرّت نفس هذا الأخير الذي وجد ضالته في عيني مريم ابنة ابيه عمر لشبه غريب يربط المرحوم بابنته.

وفي نهاية الرواية يموت جدّ مريم وتحدث تطورات في الأحداث مع شخصيات بحيث مريم وجدت ضالتها روحانية، وروح حيدر تبدأ تتسم بطمأنينة والسلام، وميادة تحاول أن تنسى ما حدث من خلال اعتذارها لسعد واعتذار سعد أيضا وترجع الحياة لها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

I. المصادر:

1-أحمد خيري العمري ،كريسماس في مكة،دار عصير الكتب للنشر ،الإمارات،2019م،ط1.

II. المراجع:

1-قائمة المراجع المكتوبة بالعربية:

2-أبا نوب ،عيسى،المراهقون و أعوام الصمت،دار الراوي للنشر و التوزيع،مصر ،2018م،ط1.

3-ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون،دار المكتبة العصرية للنشر ،بيروت،2002م.

4-أبو علاء المعري،لزوم ما لا يلزم(اللزوميات)،دار الصادر للنشر ،القاهرة،1987،ط1،ج1.

5-أحمدالكناوي ،الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر ،دار الثقافة العربية للنشر ،القاهرة ،1989م،ط1.

6-إقبال محمد رشيد صالح الحمداني،الاغتراب-تمرد،دار الصفاء للنشر و التوزيع ،عمان(الأردن) ،2011م،ط1.

7-الإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ،العزلة ،دار ابن الكثير للنشر و التوزيع،دمشق(بيروت)،141هـ-1990م،ط2.

8-حسن عبد الحميد أحمد رشوان،الأدب والمجتمع،دراسة في علم اجتماع الأدب،المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية،مصر ،2004م/2005م،ط1.

9-حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية،مركز دراسات الوحدة العربية للنشر ،بيروت،2006م،ط1.

10-خليل الدويهي،ديوان أبي فراس الحمداني،دار الكتاب العربي،بيروت،1994م،ط1.

11-دياب قديد،المتنبي بين الاغتراب و الثورة،عالم الكتب الحديث للنشر ،الأردن،2011م،ط1.

12-رافد سالم سرحان شهاب،أثر الغربة و الاغتراب في شعر الجواهري،دار مجلة التقني للنشر ،بيروت،2013م،ط1.

13-رجب محمود،الاغتراب،منشاة المعارف المصرية،الإسكندرية،1978م،ط1.

14-زوزو نصيرة،سيمياءالشخصية في رواية " حارس الضلال لواسيني الأعرج"،مجلة العلوم الإنسانية للنشر ،الجزائر ،بسكرة،2006م.

15-زينب عبد الأمير القيسي ،الاغتراب في أدب أبي حيان التوحيدي،الجامعة العراقية،كلية التربية للبنات،مجلة كلية الإمام الأعظم،بغداد،2012م،ط15،ج1.

16-سعاد عبد الوهاب العيد الرحماني،النص الأدبي التشكيل و التأويل ، دار جرير للنشرو التوزيع،عمان،2011م،ط1.

17-سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي،الدار البيضاء للنشر ،لبنان،2005م،ط1.

18-سليمان بن صالح الخراشي،العولمة،دار بلنسية للنشر و التوزيع،رياض،1419هـ،ط1.

19-سيد علي شتا،الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية،مكتبة الإشعاع للنشر و التوزيع،الإسكندرية،1997م،ط1.

20-صلاح الدين أحمد الجماعي،الاغتراب النفسي الاجتماعي و علاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي ،دار الزهران للنشر و التوزيع،العراق،2012م،ط1.

21-عبد القادر تومي،العولمة فلسفتها،مظاهرها،تأثيراتها،كنوز الحكمة للنشر،الجزائر،2014م.

22-عبد اللطيف محمد خليفة،دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2003م،ط1.

23-عبد الله إبراهيم،المتخيل السردي،مقاربات نقدية في التناص و الرؤى و الدالة،المركز الثقافي العربي للنشر و التوزيع،بيروت،1990،ط1.

24-عبده بدوي، الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر للنشر و التوزيع، الكويت ، 2011م، ط1.

25-عبيدة الشبلي، شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث، مركز حرمون للدراسات المعاصرة،العراق،2018،ط1.

26-عثمان محمد الدليمي،مواقع التواصل الاجتماعي،نظرة عن قرب،دار عيداء للنشر و التوزيع،عمان،2019،ط1.

27-عمرو بن بحر الجاحظ،الحنين إلى الأوطان،دار الرائد العربي للنشر،العراق،1982م،ط2.

28-غاستون باشلار،جماليات المكان،مؤسسة جامعية للدراسات و النشر،بيروت،2000م.

29-محمد الهادي بوطارن،الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي،دار الكتاب الحديث،مصر،2010م،ط1.

30-محمد عابد الجباري،قضايا في الفكر المعاصر،العولمة،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1997م،ط1.

31-محمود درويش،الأعمال الشعرية الكاملة،رياض الريس النشر ،رياض،2005م،ط1،ج1.

32-محمود راضي جعفر، الاغتراب ف الشعر العراقي المعاصر،دار اتحاد كتاب العرب للنشر ،دمشق،1999م،ط1.

33-محمود علي مكي،ديوان ابن دراج القسطالي،منشورات المكتبة الإسلامي للنشر ،دمشق،1961م،ط1.

34-مصطفى الحجازي،سيكولوجية الانسان المقهور ،المركز الثقافي العربي،الدارالبيضاء،المغرب،2005م،ط9

35-نجاح عطار،الجواهري في العيون من اشعاره،دار الطلاس للطباعة و النشر ،العراق،1998م،ط4.

36-نزاد حمد عمر ،الغربة في الشعر كاظم السماوي،دار عيداء للنشر و التوزيع،عمان،2012م،ط1.

37-نعمان القاضي ،أبو فراس الحمداني الموقف و التشكيل الجمالي،دار الثقافة للنشر و التوزيع،القاهرة،1982م،ط1

38-وابل نعيمة،الاغتراب عند كارل ماكس،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع،الجزائر،2013م،ط1.

39-يحي الجبوري،الحنين و الغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع،عمان،الأردن،2008م،ط1.

40-يحي العبد الله ،الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت،2005م،ط1.

2-المراجع باللغة الأجنبية:

-42Muek,d-c,irony and ironic-methuen, 100ondon and newyork, 1982, p82

-41viatcheslav wlassoff (june 8.2016) "the phenomenon of déjà vu" brainblogger 'retrieved 26-8-2018.edited

2-قائمة المراجع المترجمة:

43-توماس فريدمان،السيارة ليكساس و شجرة الزيتون،محاولة لفهم العولمة،تر:ليلى زيدان،الدار الدولية للنشر و التوزيع،القاهرة ،مصر،2000م.

44-جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، تر:جورج طرابيشي، دار الآداب، ، بيروت، 1973،ط1

45-جيرار جنيت،عتبات،تح:عبد الحق بلعابد،دار العربية للعلوم الناشرون،الجزائر،1424هـ-2008م،ط1.

46-روجيه غارودي،العمولة المزعومة،تر:محمد السبيطلي،دار الشوكاني للنشر و التوزيع،صنعاء،1998م،ط1.

47-ريجيس جوليفي، المذاهب الوجودية، تر:فؤاد كامل ،دار الآداب،بيروت،لبنان،1988م،ط1.

48-سيغموند فرويد،الأنا و الهو،تر:عثمان نجاتي، دار الشروق،بيروت،1402هـ-1982م، ط4.

49-كارل ماكس ،العمل المأجور و رأس المال،تر:الياس شاهين،دار التقدم موسكو للنشر و التوزيع،برلين،1891،ط1.

50-كارل ماكس،رأس المال،تر:فهدكم نقش،دار التقدم للنشر و التوزيع،موسكو،1985م،ط1.

51-نيقولاي برديايف،العزلة والمجتمع،تر:فؤاد و كامل عبد العزيز،مكتبة النهضة المصرية للنشر،القاهرة،1920،ط1،
هيجل،فلسفة الروح،تر: إمام عبد الفتاح ،دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،2005م،ط3.

52-هيجل،فنومينولوجيا الروح،توزيع مركز دراسات الوحيدة العربية،بيروت،2006م،ط1.

3-قائمة المعاجم و القواميس و الموسوعات:

53-ابن منظور:لسان العرب،دار المعارف للنشر ،القاهرة،1993م،ط1.

4-قائمة المجلات:

54-أحمد ابو زيد، الاغتراب،مجلة الفكر،القاهرة،2015م.

55-حسين جمعة،الاغتراب في حياة المعري و أدبه،مجلة جامعة دمشق،سوريا،2011م،العدد1 +2.

56-سمية بن عمارة،منصور بن زاهي،الشعور بالاغتراب اجتماعي لدى الشباب مستخدمي الانترنت،جامعة القاصدي مرباح،ورقلة،كلية العلوم،الجزائر،2013م،العدد10.

57-علاء زهير عبد الجواد الراشدة،الاغتراب الثقافي،لدى الشباب الجامعي في ضوء العولمة الثقافية،مجلة جامعة المشارقة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية،الإمارات،2012م.

58-علي أسعد وطفة،في الاغتراب الثقافي المعاصر ،مجلة المعرفة،لبنان،2011،العدد571.

59-فاطمة جمشيدي،ملامح الاغتراب في شعر علي فودة،و ردود فعله عليه،مجلة ايضاءات نقدية فصلية محكمة،سوريا،العدد27.